

المصمى

داود سلمان الشويبي

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طائر العنقاء

بجودة نص

داود سلمان الشويبي

الطبعة الاولى - لسنة ١٩٨٨



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة، سوق حربية

رئيس مجلس الإدارة :
الدكتور محمد جاسم الموسوي

حقوق الطبع محفوظة
تحتفظ جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الإدارة
المؤلف :

المؤلف : بشار - اعلمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلخس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤



مدخل

وبالروعة السناء ... ها انذا أنفصل عن معالم الارض ... واسبح في
السماء على اجنحة فضية راقصة ... يجذبني قرص وهاج ... يشدني اليه
طرب السحابات المتعلقة ... وارتفع حالاً ... احلق متأرجحاً بارجوحة
الشوق والغموض .. عالياً ... الى السكون المشرق المتوهج ...
هناك ... بعيداً ... اطير ... الاحق عويل الرياح المبهم ... وافاجيء
بطائري لهوف الهواء المتعلقة ... وأعود منطلقاً في متاحف مشتعلة
زرقاء ... وأمسّ سحابات عائمة ... احلق بشموخ صارخ ... حيث لا
تصل قبرة ولا نسر ... هناك بصمت يشوبه سكون الكون العميق ...
اضيع ... اضيع عن نفسي واصل رويداً ... بقدسية اليك ... اصل الى
بعد لم يصله احد ... بروحي امد يدي اليك ياإلهي ... واحس بالمسافات
تقصر ... ما بيننا ... وتلامس روحي عظمتك اللامتناهية ... وهناك
... هناك اريد ان ابقي ... معك ... !!

الطيار

«جون ماكاي»



اللقاء الأخير



عندما اهتزت من تحتها الطائرة ، سمع صوت قائد المجموعة يأمره بترك الطائرة .

x x x x x x

كانت غرفة الحركة مزدحمة بالطيارين ، تبين له من بين رفاقه الطيارين وجه كان قد ألف صورته من قبل ، تساءل مع نفسه : من يكون ؟ وعندما ترجم افكاره تلك الى كلمات مسموعة ، اجابه ذو الوجه المألوف ، والذي مضت سنوات على آخر رؤية له : نعم . . انك ياسر . . النقيب الطيار ياسر عبد الرحيم ، اليس كذلك ، انك ياسر ، وانا سمير ، الملازم الطيار سمير ، عندها سقطت اسئلته على اذني رفيقه وزميل صباه الملازم الطيار سمير عبد الواحد بسرعة لم يستطع من جرائها ان يجيب عنها جميعاً . . . لكنه استطاع أخيراً ان يقول له : الحمد لله . . وعندما هم أن يكمل معه الحديث سمعا صوت أمر القاعدة يأمرهما بالدخول الى غرفة «الايجاز» ليربهما على الخارطة الموقع الذي سيتم قصفه من قبلهما .

x x x x x x

لحظة سماعه لصوت قائد المجموعة يأمره بالخروج من الطائرة سالماً ، كانت عيناه قد التقطتا للتو صورة للوحة الاجهزة التي امامه في مقصورة الطائرة ، والتي تلونت بلون اخضر من خلال زجاج خوذته الأخضر . تبين له أن هناك خللاً في محرك طائرته وقد توضح من خلال مؤشرات اجهزة القياس التي امامه .

x x x x x x

عندما خرجوا من غرفة الحركات . . كانت جميع افكاره قد تركزت في



بؤرة واحدة هي الهدف الذي سوف يقود طائرته اليه . . لم خارطته . . . رتبها جيداً . . . دسها في جيب بدلته الشفاف . ثم اقل فتحتة جيداً وتوجه الى السيارة ذات اللون الخاكي التي كانت تنتظره ورفاقه الطيارين امام غرفة الحركات .

كان كمادته دائماً ، في مثل هذه اللحظات يجمع افكاره ويضعها في منطقة الهدف التي تترامى له امام عينيه على الخارطة التي قد تبينت ملامحها من خلال جيب بدلته الشفاف .

عندما جلس على احد كراسي السيارة ذات اللون الخاكي التي ستقله ورفاقه الطيارين الى حيث الطائرات التي تتحرك شوقاً - هكذا كان يقول لرفاقه الطيارين والفنيين - الى قصف رؤوس الاعداء ، شاهده مرة اخرى وهو يملأ فتحة باب السيارة .

سيدي نقيب ياسر . . عندما نعود ان شاء الله ، سأزورك في السرب ، هناك اشياء كثيرة يجب ان احدثك عنها . وقبل ان يتفوه بأية كلمة . . . وجده يهرول الى السيارة الثانية ، لينضم الى مجموعته هو الآخر . . . قال مع نفسه : «مازال كما عهدته» .

x x x x x x

كانت مؤشرات بعض اجهزة اللوحة التي امام عينيه قد بدت له تؤثر ارقاماً تدله على وجود خلل في محرك الطائرة . . . حرك جسمه المنحصر في كرسي الطائرة قليلاً . . . جمع تفكيره كله وحدث نفسه : - «يجب ان اصل بها الى ارض الوطن» عندما سمع صوت قائد المجموعة يأمره بترك الطائرة .

x x x x x x



- ١٠ -

كان الهدف امامه . . . بدا له وهو معمل كبير اخذ يدنومته . . . وكان أمر القاعدة قد شرح لهم بإسهاب المسالك التي يسلكونها للدخول الى منطقة الهدف . . . ووقت لقاء القنابر . . . ومسالك الخروج من الهدف . . . كان الدخان يتصاعد من اكثر من مكان فيه . . . تحقق جيداً قبل ان يقذف بقنابله على الهدف ، كانت ضربات رفاقه قد احدثت تلك الانفجارات وذلك الدخان . . . وعندما وصل الى نقطة القصف التي تبينت جيداً من خلال اجهزة الطائرة . . . ضغط على زر الرمي بإبهام يده اليمنى وقال بصوت مسموع : - «يا الله . . . » عندما سحب عصا القيادة نحو جسمه ، ف شعر بها ترتفع الى الاعلى . . . وقتها احس بها تهتز من تحته . . . وكانت اذناه تلتقطان امر قائد المجموعة بترك الطائرة ، والمجرب بالمظلة سالماً . . . سمع الصوت مرة اخرى . . . فترجم صوته ما كان يؤمن به من افكار . . . واحس ان ذلك قد غير غير الأثير الى قائد المجموعة واثقاً متمسكاً . . .

احس ان طائرته تقوده الى الارض ، كانت مقدمتها تتجه الى الاسفل . . . وكان جهاز تأشير الافق يبين له ذلك بصورة جيدة . . . حرك يده عصا القيادة ، جذبا اليه بكل قوته . . . فبانت له السماء مرة اخرى بعد ان عبرت مقدمة الطائرة خط الافق الذي يفصل الارض عن السماء ، حيث رآه ماراً افاقياً من خلال زجاج المقصورة الامامي . . . عندما سمع صوت قائد المجموعة يأتيه أمراً بترك الطائرة مرة اخرى .

كرر عليه الأمر بالخروج من الطائرة . . . فجاءه الصوت مرة ثانية عملاً بالثقة التي حسدها عليه تلك اللحظة . . . سأعود بها الى ارض الوطن . . . لن أمكنهم مني :



- ١١ -

«شهادة قائد المجموعة : - عندما شاهدت طائرته تحترق ، أمرته بأن يتركها . . . لم يجب . . . فكررت عليه الامر .

كنت ارى طائرته من خلال المرآة الجانبية للمقصورة تهوي الى الاسفل كررت عليه أمر القذف . . . لم يجب . . . كنت واثقاً بأنه لن يتركها . . . انا اعرف جيداً النقيب الطيار (ياسر) . . . وتبينتها لآخر مرة من خلال المرآة وهي تتسلق الى الاعلى . . . حتى انه استطاع ان يعدل من وضعها . . . كان واثقاً من نفسه جداً ، انه سيصل بها الى داخل حدودنا الدولية . . . وكان يكره ان يترك طائرته على ارض العدو . . . يكره ان يقع اسيراً بيد اعدائه . . . وعندما أمرته لآخر مرة ان يترك طائرته سمعته يقول : لا اله الا الله . . . بعدها لم اسمع شيئاً

x x x x x x

عندما احس بها تهوي الى الاسفل ، لم يتمكن من اعادتها الى وضعها الافقي الصحيح . . . حاول اكثر من مرة ، كانت جميع اجهزتها قد شلت عن الحركة . . . كانت مازالت هناك مسافة للوصول الى ارض الوطن . . . وهناك - قرر مع نفسه - ان . . . يقذف بنفسه الى خارج الطائرة .

كانت هي تهوي به نحو الارض . . . عندها تمحس بأصابعه عتلة قذف الكرسي . . . فقال لنفسه : - لا . . . لكن صوت سميرة ناداه بأن يرمي الكرة الى سمير . . . ترك الكرة تقع من بين يديه على «ثيل» ارض الحديقة التي بدت امامه كسجادة مغطاة بلون اخضر ، . . . وركض اليها ليوقعها من على الارض بعد ان رأى قدمها تنزلق بها على الثيل . . . سحب يديه من على عتلة القذف . . . كانت الارض تتجه نحوه بسرعة . . . عندها



- ١٢ -

«شهادة أمر السرب : - كان ضابطاً جيداً ، وطياراً كفءاً . . . وعندما كان الحديث يدور بين رفاقه الطيارين عن حوادث الطيران خاصة على ارض العدو ، كان هو يبدي افكاره التي يؤمن بها جيداً امام رفاقه وهو يعلن تلك الافكار قائلاً :

- لن أمكنهم مني . . . وعندما يتحدث لطائرتي اي خلل فني ، او عند اصابتها لن اتركها . . . سأعود بها الى ارض الوطن او امستشهد داخلها .

- وعندما كنت احزنه من ذلك ، واين له مخالفة ذلك للتعليمات كان هو يقول : -

- لا اقبل العيش في ذل الاسر . . . فالعدو الذي نقاتله اعرف نواياه جيداً»

x x x x x x

كان يحس بها تقوده الى الارض ، مقدمتها تهوي به . . . وكانت الارض تتجه نحوه ، سريعة . . . سريعة . . . حاول ان يعيد مقدمة الطائرة الى الاعلى ، سحب عصا القيادة اليه . . . اهتزت من تحته الطائرة محدثة اهتزازات تبين تأثيرها على اجهزة القياس امامه . . . عندها سمع صوتاً يأمره : - اقف . . .

كان ذلك صوت الطفلة سميرة مازال يدوي في اذنيه . . . اقفها . . . كان ذلك الصوت يأتيه من بين اشجار حديقة البيت ، والكرة مازالت بين يديه . . . وسمير مازال منبطحاً على «ثيل» ارض الحديقة الاخضر وهو يضحك بصوت عال . . . رمى بالكرة الى حيث الاشجار . . . فرأها تخرج وهي تمسك بها . . . ركضت نحو اخيها الذي اوقف ضحكته وهول مسرعاً ليحتمي خلف احدى الاشجار .



- ١٢ -

وشهادة الملازم الطيار سمير عبدالواحد :-

- سيدي كنت متشوقاً للالتقاء به ... اكثر من عشر سنوات ، لقد انقطعت اخباره عنا بعد ان رحل وعائلته الى مدينة اخرى ، وعندما رأيت صياح هذا اليوم في غرفة الحركات كدت اطر فرحاً .. كنا زملاء .. كان هو اكبر مني بسنوات ... وكانت حديقة بيتنا هي المكان الوحيد الذي نلعب ونقرأ فيه ... وكانت سميرة - اختي - طفلة صغيرة .. كان يحبها كثيراً .. يشترى لها الحلوى ... كانت والدتي تحب كحبيها لنا ... كانت هناك اشياء كنت قد اخبرته بانني سوف احده عنها ... لقد سألتني عن سميرة .. تلك الطفلة التي كان يجب مشاكستها له ، قلت له سأزوره في السرب ... ولم اكن اعرف بانني قد التقيت به اللقاء الاخير .

١٩٨٧/١/٢٧

قبل الساعة السادسة صباحاً ...



- ١٥ -

كان تساقط قطرات المطر على الغطاء النسيجي لعجلة «الوازه» مثل صوت انقراط حبات مسبحة من خيطها على صفيحة معدنية ... وكان الضوء الامامي للعجلة يحسم امامنا - انا والسائق نائب العريف حميد - بشكل اسطواني ، خافت صورة قطرات المطر وهي نازلة من الاعلى الى الاسفل لتتكسر على اسفلت الشارع ، مثل لآلئ صغيرة ينكسر داخلها شعاع الضوء الاصفر ، فلتتمتع قشرتها الخارجية به ... عندما تعبر تلك القطرات المجال الذي يملأه ذلك الضوء الاصفر الخافت ...

كان اسفل الشارع قد بدا امامنا مغسولاً ... نظيفاً يلتمع تحت اشعة ضوء العجلة ، كاشفاً امامنا بركاً صغيرة صيرها المطر منذ قليل .. تتراقص على صفحتها في آن واحد أضواء المصابيح وقطرات المطر بتناغم جميل .

انتهت الى ان سائق العجلة قد حرك احدى يديه ليحكم من لف والقمصلة الشتوية الزرقاء على جسده بصورة جيدة ليحتفظ بما تمنحه من دفء ، كان هو بحاجة اليه في هذا الجو البارد ، أما يده الثانية فقد تركها تحرك مقود العجلة التي اجتازت للتو المنعطف الاخير للشارع الذي يوصل الى ملاجئ الطائرات ، حيث بدت لنا ، هي الاخرى ، في هذا الظلام الخالك السواد كأشباح لاجساد عملاقة في فضاء واسع تلونت قبتة بلون الغيوم السوداء التي ابعدت عنا ضوء القمر ، حيث اخفته بين طياتها الكثيفة .

كان الهواء الصقيعي ينفذ من خلال الفتحات الموجودة في مناطق كثيرة من جسم العجلة ، ويترك أثراً كوخز نصل سكين حاد بعد ان ينسل الى داخل نخاع عظام جسمي ، عندما احسست ان قدمي لا أشعر بوجودهما ... حاولت ان احركهما ، لم استطع ، فكرت ان اخرجهما من جلد الخذاء الاسود



- ١٧ -

وافرکہا بيدي ، وعندما حاولت ذلك ، سمعت صوت نائب العريف حيد وهو يكلمني :-

- سيدي ، هل تنزل ام تظل جالساً داخل العجلة ؟ ندت من بين شفتي .. آه .. تحمل علامات استفهام واندھاش :
- ها ... كلا ... كلا سوف انزل .

x x x x x x

كانت الساعة تشير الى ما بعد منتصف الليل بقليل عندما دق جرس الهاتف الذي كان موكناً على منضدة صغيرة قرب السرير . حيث كنت اغط في نوم عميق بعد تعب ثلاثة ايام بلياليها ، كنا ، انا ومنتسبو سربنا نقوم بتجهيز وتسليح الطائرات لتنزل غضبها وغضبنا على رؤوس الاعداء .

عندما استيقظت ، على رنين الهاتف ، سمعت صوت الريح وهي تعزف لحنها الوحشي خارج البيت ... وقطرات المطر تنزل متسارعة على نافذة الغرفة والارضية الكونكريتية المحيطة بجدارها من الخارج فترك اصواتاً رتيبة .

كان المتحدث معي المقدم الطيار آمر سربنا ، يستعجلي الالتحاق الى السرب ... قلت له قبل ان اضع السماعة في محليها :
- نعم سيدي .. حاضر سيدي ، مع السلامة .

x x x x x x

عندما نزلت من العجلة ذات اللون الخاكي ، حركت قدمي عدة مرات ، كان المطر يتساقط ، والريح تلفح وجهي بسيطا حادة كنصال الساكنين فترك اثرها على الشفاه المرتجفة ، والاسنان المصطكة ، والانوف



- ١٨ -

المحمة .

للممت قمصاني الشتوية ذات اللون الأزرق على جسمي جيداً بعد ان وضعت قبعتها على رأسي واحكمت اذراها .. فركت راحة يدي لاستشعر بعض الدفء من خلالها ... كان الفنيون قد اصطفوا في نسق عسكري قرب احد ابواب الملاجئ انتقاء المطر الذي اخذ ينهمر بشدة . كان الأمر الذي جاءني عبر اسلاك الهاتف من غرفة حركات القاعدة هو تبديل حولة الطائرات بحموله من نوع آخر ... وبوقت حدد لي ... وهو حتى الساعة الخامسة صباحاً .

كان الوقت حرجاً جداً ... ولكن لا ... هكذا حدثت نفسي بعد ان اتصلت بنائب الضابط الاقدم ... لم تكن المرة الاولى التي يطلب منا ذلك ... نحن في سباق مع الزمن .. علينا ان نهي مهمتنا في الساعة الرابعة والنصف ... هناك نصف ساعة سنرتاح فيها .

بعد ان تحرك المراتب الفنيون ، وتوزعوا على مجاميع انتبھت الى ان الضباط المهندسين والفنيين الذين جلبتهم عجلة «الوازه» وانتزعهم من فرشهم الدافئة واحلامهم الجميلة ، يقفون خلفي ... كانوا ثلاثة .. خالد ، نضال ، ضياء وكلهم برتبة ملازم اول .

- صباح الخير .

ردّ الجميع على تحيّي

ها ملازم اول خالد .. الم تعرف بحالة الجو خارج غرفتك ؟
سألته مندهشاً بعد ان رأيت جسمه يختص من البرد ... كان نحيفاً كقصبة عراقية في احوار الجنوب .



- ١٩ -

حيداً حيث كانت الليالي الثلاث الماضية قد علمته ذلك ، بعد ان التحق في سربنا قبل اربعة ايام ، وقبل ان يترك لعجلات «الوازه» حرية الحركة على اسفلت الشارع البليل والمملوء ببرك مياه الامطار ، بادرنى قائلاً بتحذير :
- سيدي ، انتبه ، ان الغطاء النسيجي مثقوب ... ارجوان تجلس بعيداً من الثقب .

واشار لي بيده الى مكان الثقب . حيث كان الماء ينزل منه ، وبدا الغطاء كالقربة المثقوبة ، ينز ماء ، قلت له وأنا ابعد جسمي عن تساقط الماء :-
- هيا انطلق .

x x x x x x

كانت الطائرات رابضة تحت سقوف الملاجئ الكونكريتية .. وهي ترفع مقدماتها بشموخ .. واجنحتها مفروشة في فضاء الملجأ ... والمراتب الفنيون وقد بدؤوا من تحتها وهم يعملون كخلية نحل ... فرحين بملكيتهم .. احسبت ان كل واحد منهم عملاق وهو يحمل مع زملائه القنبرة الى حيث مكانها على الطائرة . قلت لهم وانا امسك بطرف من القنبرة براحتي يدي وادفعها معهم الى مكانها :

- يجب ان ننهي من التسليح في الساعة الرابعة والنصف ... عندها سمعت من الطرف الثاني للملجأ احد الفنيين يتغنى باهزوجة شعبية وزملاؤه يرددونها من بعده ... وهم يدفعون عربة القنابر الفارغة ... كان نائب الضابط عدنان حسين قد رفع اصبعيه شارة النصر ، وهو يلوح لي بها من بعيد .. عندها عرفت انهم قد انتهوا للتو من تسليح طائرتهم . كانت المجموعة هذه قد تقدمت حيث كنت واقفاً قرب الطائرة وقبل ان



- ٢١ -

- كلا سيدي .. ولكنني لم انتبه لذلك ، كنت قد ارتديت ملابساً بسرعة ، لم أحس بالبرد إلا هنا .

كان الملازم الاول خالد ، الذي نسي ان يرتدي قمصته الشتوية وزميله الملازم الاول ضياء هما الضابطان المسؤولين عن التسليح ، وكانا من الضباط الجيدين والنشطين قلت له :

- اذهب الى غرفتك وارقد قمصتك فاجابني بثقة عهدتها فيه :

- سيدي ، لا اعتقد بانني سأحتاج اليها عندما يبدأ العمل . قلت له :

- هذا صحيح ، ولكنني لا اريدك ان تعرض .

كانت السماء لما نزل ترسل سيولها كشلالات من ماء هادر ، والريح تشد ، وهي تعزف الحانها الوحشية لتلاعب بها آذاننا وهي تسفح على وجوهنا سياطها الثلجية الباردة ، والشوارع التي تربط ما بين ملاجئ الطائرات قد امتلأت ببرك المياه .

كان صوت تساقط قطرات المطر يُسمع وهو يرتطم برتابة على سطح تلك المياه التي تجمع على اسفلت الشوارع في مناطق متباعدة ..

نظرت الى ساعة يدي ، كانت عقاربها الفوسفورية تشير الى الواحدة صباحاً ، عندها شاهدت شاحنتين كبيرتين تقفان قرب «دكة» انزال القنابر ، وقد غطيتا بغطاء مشمع ، كانتا محملتين بصناديق القنابر .

كان السائق ، جالساً خلف مقود عجلته التي تبلل غطاؤها النسيجي بماء المطر .. فتحت بابها وجلست ، سمعت صوت محركها يُدار .. كنت اعرف ان نائب العريف حيد - حتماً - سيأخذني في جولة بين الملاجئ لا تفقد العمل فيها قبل ان التحق بمجموعتين من المراتب الفنيين ، لانه يعرف ذلك



- ٢٠ -

- نعم ملازم اول ضياء .

.....

- نعم .

.....

- شكراً ، الله يساعدكم .

كان الملازم الاول ضياء من الضباط الفنيين الجيدين الذي يستطيع ان يحل اسرار محركات الطائرات .. نشيطاً وذكياً .. شاباً في الخامسة والعشرين من عمره وكذلك كان مصلحاً جيداً لمحركات السيارات التي يمتلكها رفاقه الضباط والمراتب .

وضعت سماعة الهاتف في مكانها ، نظرت الى ساعتي كانت عقاربها تشير الى الرابعة والعشرين دقيقة ، عندها سألت الملازم الاول (نضال) الذي مازال واقفاً بالقرب مني مستفسراً عن عدم اتصال الملازم الاول خالد بنا عند انتهاء عمله ومجموعته . . ثم تابعت قائلاً :

- هيا بنا لنر .

x x x x x x

كان الملازم الاول خالد ومجموعته واقفين قرب إحدى الطائرات ، كانت جميع الطائرات الموجودة داخل الملجأ مسلحة بصورة كاملة ، اندهشت لوقوفه مع مجموعته وهم متحلقون حوله .

سمعت الملازم الاول (نضال) وهو ينادي عليه . . . فرأيتة وهو ينسل من بين مجموعته ويتقدم نحونا . . . ادى التحية ، وقبل ان ينتهي من انزال يده بادرته قائلاً :



- ٢٢ -

يقربوا منا ليساعدوا المجموعة الثانية ، صاح اقدمها نائب الضابط مطشر :
- مشكورين . . . لقد انتهينا كذلك .

x x x x x x

الساعة تشير الى الرابعة والربع عندما جاءني الملازم الاول نضال واخبرني قائلاً :

- سيدي . . . لقد انتهت مجموعتي من تحميل طائرات الملجأين الثالث والرابع .

كان منظره كمن خرج من النهر . . ملابسه وقد ابتلت ، وحذاؤه موحل

قلت له بعد ان شكرته :

- انا ومجموعتي انتهينا كذلك من تحميل طائرات الملجأين الخامس والسادس .

عندما نظرت الى ساعتي ، احسست ان الوقت يهرب من بين ايدينا . . علينا ان نلحق به . . لا ندعه يفلت منا يجب ان نسبقه ، ربع ساعة وتنتهي المدة المقررة لتغيير حمولة الطائرات ، حتماً ان المجاميع الاخرى على وشك الانتهاء ، يجب ان

- سيدي الملازم الاول ضياء يطلبك على الهاتف .

توجهت مباشرة الى الهاتف المعلق على الحائط الكونكريتي للملجأ ، كنت اخشى ان يكون قد حدث ما يدعوه الى طلبي . . . رغم انني كنت واثقاً من ان رفاقي الضباط والمراتب يعملون بصورة جيدة . . . وانتباه عال . . . رفعت سماعة الهاتف :



- ٢٢ -

- ملازم اول خالد ، هل انتهيتهم ؟

اجابني بثقة :

- نعم سيدي ، قبل عشر دقائق .

فسألته مندهشاً :

- ولماذا لم تخبرني بذلك .

اجابني قائلاً :

- سيدي ، ان الهاتف عاطل ، وقد ارسلت العريف (كاسظم) لاختبارك بذلك .

عندها احسست بفرحة تسري مع برودة الهواء الى اعضاء جسمي ، اعدت لوجهي بعض الدماء التي فرت منه . . . نظرت الى ساعتي ، كانت عقاربها تقترب بتكتكتاتها الخافتة لتشير الى الرابعة والنصف .

قلت له :

- شكراً ، لقد انتهينا جميعاً قبل الموعد المحدد .

x x x x x x

كانت غرفتنا عبارة عن «كرفان» خشبي مقسم على قسمين ، وكان القسم المعد للجلوس يحوي على مجموعة من الأرائك التي كثيراً ما حولناها الى اسرة نترك لاجسادنا حرية التمدد عليها ، بعد الانتهاء من اعمالنا .

عندما دلفنا الى داخل الكرفان ، وقبل ان اضع جسدي المتعب على احداها رن الهاتف ذو اللون الرصاصي ، عندها صاح الملازم الاول ضياء :

- خير ان شاء الله .

ثم دس رأسه تحت غطاء الرأس الملحق بمقصلة نظرت الى ساعة



- ١٤ -

١٩٨٧/٢/١٨



- ٢٥ -

الطيور تحلق عاليا



- ١ -

تحلقت حوله طيور بيضاء ، فتح عينيه على وسعها ، كانت السماء اول ماملاً بصره بها . . . بيضاء ناصعة كنديف القطن . . . عندها اذار بصره من حوله ، كانت هناك اسراب من حمام . . . ابيض الريش كالثلج . . . احس بأجنحتها وهي ترفرف من حوله بخفة ورشاقة . . . حيث صنعت له جواً لم يألّفه من قبل . . . نسيمات باردة تخفق حول جسده الممدد الذي مازال يحتفظ بحرارته وهي تسري فيه كتيار هواء حار . . .

انعشه ذلك الرفيق الابيض . . . انتبه الى ان بسمته الصغيرة المعروف بها مازالت مرتسمة على شفتيه ، وقد احاطت بها من الاعلى شعرات خفيفة كزغب الطير وهي ترسم حدوداً لشارب منسق خطته يدفنان ماهر .

تساءل : - اين أنا ؟

لم يسمع لسؤاله جواباً . . . حيث ارتسمت في تلافيف تلك الذاكرة القوية بعض صور عاشها قبل دقائق . . . سمع صوت انفجار مدوّ . . . وصوتاً آخر يطلب منه الهبوط بالمظلة . . . ثم انفجاراً ، ودويّاً . . . فضاء بلون الرماد وهو يحيط به . . . اندفع الى الاعلى . . . و . . .

كان كل ما يحيط به قد غدا ابيض ، لؤلؤاً منشوراً في فضاء واسع . . . اجنحة ترفرف . . . نسيمات هواء بارد . . . ثم . . . جمد جسده . . . كان كل شيء فيه قد هدأ . . . احس بسريان الدم يتوقف في عروقه التي ارتحل عنها نبضها الحار . . .

عينان مفتوحتان على فضاء ابيض ، شعرات رأسه المتسدلة على جبينه البارد يلاعبها الرفيف الذي صنعت اجنحة تلك الحمامات الجميلة . . .



- ٢٩ -

بعدها ، احس بجسده يرتفع به ... صور ملونه تتحرك في مساحة تلك
الذاكرة القوية ... تذكر جيداً ... كان الانفجار قد حدث بطائرته بعد ان
نفذ مع زملائه واجباً على قطعات العدو ... انفجار دفع بكرسيه الى ان يطير
به بعيداً عن اشلالة طائرته المتفجرة ... احساس مدمر بانسحاب جسده الى
الاسفل ... اشياء بلا حدود ... تكوينات افتقدت لوانها ... ثم شيئاً ما
ينفذ الى صدره ... ظلام دامس ... سواد قد امتلأت به صفحة محفظة
ذاكرته تلك ..

- ٢ -

فتح عينيه بدم متجمد ونبض ساكن ، وبرودة جسد قد رفرفت من
حوله اجنحة طيور بيضاء ...
ارتفع جسده قليلاً ، قليلاً يهدوء وسلام .. نظر الى المكان الذي خلفه
، رأى شيئاً ما يتحرك ، شيئاً ما تفتقت عنه تلك الارض التي كان قد احتلها
جسده قبل قليل ... كان جسده قد بدأ يملأ به الى الاعلى ، بين رفرقة تلك
الاجنحة البيضاء التي صنعت له وسادة هوائية حملته الى الاعلى ... أمن
النظر جيداً ... انشقت الارض عن عود اخضر ، راه وهو يرتفع قليلا عن
الارض ... يسمو بزهو الى الاعلى ... كان جسده كذلك قد ارتفع بين رفرقة
اجنحة الطيور ... وكان ذلك العود يمتد بخضرته ... بعدها احس بدوي
هائل ... ثم ، تبرعم رأس ذلك العود ... وردة حمراء تسكن هادئة في
نهايته ... عندها احس بحرارة جسده وهي تشق السكون الذي خيم
عليه ... سمع صوت دمه وهو يتدفق في عروقه التي عاد لها نبضها
الحار ... بينما كانت الطيور تصنع له برفرة اجنحتها تلك الوسادة المخملية
الناعمة ... عندها اعاد نظره الى الاسفل ... لم ير شيئاً ما ... كان كل

- ٢٠ -

شيء قد لاح له ابيض كرفيف تلك الحمامات البيضاء ... وجسده ينم على
فراش من تلج ناعم ..
انتبه الى احدى الحمامات وقد توقف رفيف جناحيها .. ثم مالبت ان
نظت من بين الجموع ... انتفضت الى الاعلى ، فانتصبت فتاة بيضاء ، قمراً
بجناحين خفيفين ... مالت برأسها اليه ، وبسمة قد تركت لعينه ان تريا
صفين من لؤلؤ ابيض وقد انتظما بين وردتين بلون الثلج ..
هست له قائلة : - اهلاً بضيفنا ...

لم يتفوه بحرف واحد ... هزته المفاجأة ... كانت عيناه قد انبهرتا
بذلك الجمال الهادي الذي انساب مع موسيقى صوتها الذي رفرق بين
اذنيه ، قالت له !

- ها انت في جنتنا تطوف .. فاطلب ما تريد ..
التمعت عيناه بضوء وجهها الساطع ... رفع كفاً احتوت راحتها على
بضع قطرات من دم احمر ... مدت هي يدها الى حيث كفها ... لاس
كفها كفها ... حرك شفثيه ... كانت نسمة هواء بارد قد حملت له اندهاش
تلك اللحظات ... رأى شفثيه قد تحولتا الى وردتين بلون الدم ... همس
لها بما يريد .. تركته ليراها وهي تتحدث بمجموعة الحمامات بحديث لم يسمع
منه شيئاً ... ثم ما لبثت ان انتفضت بجسمها الذي احس به يذوب بين
باض رفرقة اجنحة ما يحيط به ... هبط جسده قليلاً قليلاً ... كانت
الوسادة الهوائية التي صنعتها رفرقة اجنحة الحمامات البيضاء تهبط به الى
الاسفل يهدوء وسلام .. وكان جسده ممدداً يسكون آمن ... بسمة صغيرة
حل الشفثين ... بقعة دم حمراء قد تلونت بها ملاسه في منطقة الصدر ...
هدوء شامل ... سكون ... وبدأت رحلته الى حيث اراد ..

- ٢١ -

عال ... سارت به الى امام ... كان بصره يمتد الى حيث ذلك الشارع
الاسفلتي المتعرج ... ثم احس بجسده وقد تركت رعثته على شفثيه ابتسامة
وضاعة ... حدث نفسه قائلاً :

- انها العجلة نفسها التي كانت تقفني في كل يوم مع ... مع ... آه ،
تذكرهم واحداً .. واحداً .. كانت تقفله وايامهم الى حيث تلك الاجسام
الرابضة على الارض باجنحتها المرفوعة ... عندما بحث عن قائدة اسراب
الحمام بين الاجنحة البيضاء المرفوعة ... لم يبتد اليها ... كان يريد ان يغيرها
عن كل شيء ... ان يقول لها ، ان هذه العجلة التي تسير على ذلك الشارع
تحمل داخلها زملاءه الطيارين الذين يستعملون الوقت للوصول الى تلك
الطائرات التي ترفع مقدماتها بشموخ ... كان يريد ان يقول لها ان هناك
مكاناً فارغاً في تلك العجلة .. كان مكانه هو .

- ٥ -

دخلت به اسراب الاجنحة البيضاء المرفوعة ، تلك البناية الكبيرة التي
قد تذكرها للتو ... آه ، هكذا حدث نفسه ... انها البناية نفسها التي كنا
نرتاح فيها ... قائلاً : كيف انه خرج منها مع زملائه ... ركبوا تلك
العجلة ، أولسنتهم الى حيث الطائرات ... امتطوا صهواتها ... اغلقوا
اغطية المقصورات ... دَوَّروا المحركات ... تحركت بهم ... حلفت الى
الاعلى ، وفي الوقت المحدد ... رمت بحمولتها على قوات العدو ... ثم
صوت دوي وانفجار ... و ... و ...

رأى احد العسكريين يقف ماسكاً بندقيته ، حياه ، لكن صوته لم يخرج
من بين شفثيه ... رأى في عيني ذلك العسكري ابتسامة جميلة فاضت بها

- ٢٢ -

- ٣ -
كانت الارض قد امتلأت ببريق الشمس ... طلع نورها امام عينيه
... وكانت الحمامات البيضاء تحمل جسده ... رفرقة اجنحتها تصنع له
جواً من الأمن والطمانية ..

التقطت عيناه صوراً مشوشة لما على الارض ... بعد لحظات بانث
امام ناظرية كتل معدنية كبيرة ... رآها مزورة ... ملو ... الارض ...
غلاها جيداً ... كان جسده يقترب يهدوء بهو ... عدها وجد أن
اجساماً باللوان مرفقة تشبه اجسام الطيور قد ... من تلك الكتل
الكبيرة التي بلون الكونكريت وهي قارضة اجنحتها ... ثم توقف بانتظام كل
اثنين امام واحدة من تلك الكتل الكبيرة المكدسة ... الابواب الحديدية
الصفراء ... ثم رأى مجموعة من رجال يتحركون ... واجساماً كبيرة
تأخذ اشكال عجالات وهي تدنومنها ... انتبه الى ان ... الحمامات الابيض
مازال تفرش لجسده سريراً ناعماً برفيف اجنحة ... احلت تدويره
بين الكتل والاجسام التي تشبه اجسام الطيور بين حمله ، تحرك بين هذه
الاجسام ... تمنع جيداً في وجوهها ... تذكر تلك ال ... التي الف صورتها
في يوم ما ... تساءل : متى ؟ لم يجد الجواب ..

كانت فيه رغبة في الحديث معهم ... والفتاة ... لا يصححكم ...
لكنه احس ان صوته قد ضاع في داخل فمه ... ان ... به الى واحد
منهم ... اراد ان يقول شيئاً ، أن يصيح ... ولكن ، نال صوته بضيع بين
رفرقة اجنحة تلك الحمامات ..

- ٤ -

بعد ان دارت به الحمامات برفيف اجنحتها ... بين تلك
التشكيلات التي امتلأت عيناه بصورها ... سحبه ... الى ارتفاع

- ٢٣ -

رموشه التي اختلجت بين رفيف تلك الاجنحة البيضاء .

كانت الحمامات البيضاء قد دخلت به الى قاعة كبيرة ... ارائك مرتبة ... لم يجد احداً ... بعض اجهزة التلفون ، تلفزيون ملون ... خرائط ... مكتبة صغيرة ... صندوق بواجهة زجاجية معلق على الحائط بحوي وسام الرافدين من الدرجة الاولى ومن النوع العسكري ... ثم لوحة كبيرة معلقة على الحائط ايضاً وقد امتدت على زجاجها الشفاف خطوط بالطول والعرض ... واسماء لزملائه الطيارين ... احس بجسده يتنفس ... لسعته نسمة باردة حملتها له رفرقة اجنحة طيوره البيضاء ... حماماته التي حملته الى هذا المكان ... الاجنحة التي انفرشت من تحته ومن حوله ... كان اسمه قد لاح له على تلك اللوحة بلون الشمس ... اشعاع يسطع منه ، ولكن هناك كلمة قد اضيفت له ... انفرجت شفتاه عن بسمه احس بها تحمل موسيقى فرح غمرته بلذة محبة ... كانت وشهيدة كلمة رددتها بعد قراءة اسمه ... انتبه الى نفسه ، جسده المسحى بين رفيف تلك الاجنحة البيضاء ... كان كل شيء فيه قد تبدل ، كل شيء قد تحول ... صار جسداً باجنحة بيضاء ... وزغب ناعم ... نظر الى المنطقة القريبة من صدره ، كانت هناك ريشة حمراء قد نبتت كزهرة جميلة ... عندها احس بعينييه وهما ترسمان على ملامحها صورة ملونة فاحت بفرحة كموسيقى ليلة عرس .

- ٦ -

دخل زملاؤه ... رأهم وهم يدخلون ... كانت البسمه تنطبع على شفاههم ... تداخلت اصوات الفرح بينهم ... انتبه الى جميع الوجوه ... كانت تنو اليه محذقة فيه بعيون فرحة وتقدير ، واجلال .

٣٤ -

سمع احدهم يقول ، وهو يؤشر بيده الى حيث كان : - انها حمامة جميلة ، كيف دخلت هنا ؟ ثم نهض الجميع ... وقفوا متعلقين حيث مكانه ، نظر اليهم ... امتدت اكثر من يد ومسدت على ذلك الزغب الابيض ، احس بأيديهم تتحرك على جسده تحمل له دفء جميلاً ... فرحاً ، عرساً ... عندها ارتفعت به تلك الاجنحة البيضاء الى الاعلى ... حلقت به ... اخراجته من دوامة تلك الايدي ... خرجت به من باب البناية ، حيث رفرقة الاجنحة مع النسيم البارد ... رأى عسكرياً يؤدي التحية ... وعيون زملائه تتبعه حيث حلقت به تلك الاجنحة البيضاء في الجو ... احس بجسده ينطلق محلقاً ... العيون تتبعه الى فوق ... اشرايت الاعناق ... كان هو يطير ، والعيون تطير ببصرها معه .

١٩٨٧/٣/١٠

٣٥ -

لمحات قلقة

٣٧ -

: - عمي ، هل اقدم لك العشاء ؟
لم يجيبها

لقد تأخر هذا اليوم خارج البيت ... ليس من عادته ان يعود متأخراً -
هكذا - بعد الساعة العاشرة .
منذ سنة ، بالضبط ، وهو يعود الى البيت قبل الساعة الثامنة ، ليرى
ويسمع ، الاخبار في التلفاز ... ومنذ ان توفيت عمتي - ام احمد - رحمه الله ،
وهو هكذا ، اما هذه الليلة ... الليلة فقط ، فقد كسر عادته تلك ، وعاد في
الساعة العاشرة والرابع ... حتى نشرة الاخبار الثانية لم يرها معنا في البيت .

دخلت البيت دون ان تحس بي ... خفت أن أوقف «مها» من نومها ان
افزعها ... فالساعة الآن العاشرة والرابع ...
فتحت باب الدار بالمفتاح الذي كنت احتفظ به ... انسلت الى
الداخل بهدوء ، بعد ان اغلقت الباب الخشبي للبيت ... ثم تسللت الى
غرفة الجلوس .
كان صوت التلفاز ينقل حواراً اجنبياً لفيلم حربي ... اما «مها»
فما زالت يقظة الى الآن ... وقد جلست على الارض بين العباها



عيني الاثنين .
لم أره من قبل بهذه الملامح الحزينة ... هل حدث ما عكر عليه
مزاجه ؟ هل تشاجر مع احد من اصحابه ؟ ! كلا ، كلا ، انه رجل كبير
وعاقل ... ولكن ، لماذا هو منززع هذه الليلة ؟
هل حدث شيء لأبي «مها» ؟
استغفر الله ... استغفر الله .
لقد غادرنا زوجي ابو «مها» ليلة أمس الأول الى وحدته بعد ان انهى
اجازته الدورية بيننا ... ولكن ، لماذا هو حزين ؟

x x x x x

هل اخبرها بما حدث ؟
والطفلة ، لماذا هي يقظة لحد الآن ؟ !
هاهي تدفع بسيارة صغيرة على أرض الغرفة التي فرشت بسجادة
كبيرة ... وهي فرحة بلعبتها .
ليس من عادتها ان تظل مستيقظة الى مثل هذا الوقت المتأخر ...
هل تعمدت والدتها ان تبقيا معها حتى اعود بعد أن تأخرت عنهم ؟
ربما ... ربما .
ولكن هل اخبرها ؟ هل اقول لها كل شيء ؟ ولكن كيف ؟ كيف
اخبرها بما حدث ؟ اليست هذه شجاعة مني وانا جالس هكذا هادئاً ، اشاهد
برامج التلفاز ، وكأن شيئاً لم يكن ؟



الصغيرة ... وعندما رأته ، هبت واقفة وركضت نحوي ... حملتها على
صدري ، قبلتها من شعر رأسها ... كان ناعماً فاحم السواد ، كشعر والدها
احمد ...
جلست على احدى الارائك ، بعد أن انزلتها على الارض لتعود مرة
اخرى الى العباها .
نظرت اليها ... كانت تعيش فرحاً غامراً بين العباها . اما أمها ، فقد
جلست بانتباه الى التلفاز ... حيتني ، بعد ان تأكدت هي من عدم تحيقي
لها ... لم انتبه لذلك الا بعد ان حيتني هي ...
سمعتها تسألني : -
- عمي ، هل اقدم لك العشاء ؟

لماذا هو واجم هكذا ؟
لم أسمعته عندما فتح باب الدار ... وعندما اغلقه . لقد فاجاني
بدخوله الغرفة ... لماذا لم يجيني ؟ ما الذي أخره هذه الساعة ؟ لماذا لم يرد على
سؤالي حول عشاءه ؟ هل كان صوتي ضعيفاً فلم يسمعه ؟ أم انه ... استغفر
الله العظيم .
منذ ان ماتت عمتي ، وهو الأنيس لي ولايتني «مها» خاصة في ساعات
الليل ، ونحن نجلس لنشاهد برامج التلفاز وهي تنقل لنا أخبار المعارك ...
اما ابو «مها» فقد كان لا يزورنا الا اثناء اجازاته الدورية ... وقبل ان يعود
لوحدته العسكرية ، اسمعه يوصي والده بنا ، فيرد عليه قائلاً : - انهن في



ربي اهتدي الى الطريق الصواب .

هل اخبرها ؟

و «مها» لماذا لم تنم ؟ اليس من الأجدر يا حلوتي الصغيرة ان تنامي بعد ان لعبت كثيراً ؟ ولكن كيف ، كيف ابدأ معها ، كيف اخبرها ؟
هل اذهب انا لوحدي ؟ ام

x x x x x

- ٦ -

لماذا هو حزين ؟ هل أسأله ؟

عيناه يلتصق فيهما شيء لم أره من قبل ... وشاويه بلون القطن ماذا حل به ؟

فها هو امامي يرتجف كأن مرضاً أصاب شفتيه ... هل هو مريض ؟ معاذ الله .

لماذا يجتلس النظر الي هكذا بين الحين والآخر ؟
حتى أنه لم يكن متبها بصورة جيدة للفيلم .
ما الذي يدور بفكره هذه الساعة ؟

فراسه مازال غير مستقر في اي اتجاه ... ما الذي يؤلمه ؟ هل أسأله ؟

x x x x x

- ٧ -

- كلا ، لقد تعشيت في المطعم .



- ٤٢ -

هل صدقتني ؟

ربما قبلت عذري ، ولكنها ، لماذا لم ترفع عينها عن وجهي ؟ هل أحسنت بشيء مما في نفسي ؟ هل هي غاضبة مني لانني تعشيت خارج البيت وتركتها مع ابنتها حتى هذه الساعة المتأخرة ؟

هل تعرف ما بي الآن ؟

كيف اخبرها . ؟ . هل اقول لها : انني لم اكن جالساً في المقهى ... ولم اتعش في المطعم ، ولم اقابل احداً من اصدقائي ؟ .

هل تصدقتني ؟

هل اخبرها بالحقيقة ؟

و «مها» لماذا هي نقطة لحد الآن ، ألم تنامي يا حلوتي العزيزة ؟

x x x x x

- ٨ -

لماذا هو يتحرك هكذا ؟

وما هذا القلق الذي بدا على ملامحه ؟

أسأله ؟

و «مها» ، لماذا اجلسها هكذا في حضنة ؟ ! رفع يده ، مرر كفه على شعرها الفاحم السواد ... وضع شفتيه على جبينها ، قبلها ... وهي مازالت ممسكة بلعبتها الصغيرة .

قال لها : - جدو ...

كان صوته قد بدا متلجلجاً .



- ٤٣ -

بعض المشكلات المتعلقة بالمنطقة واهلها ...

لم اشرب الشاي في المقهى ... ولم أسأله السبب ، وعندما شربت الشاي بعد ان جلست قرب مكتب المسؤول الحزبي للمنطقة ... قدم لي سيكارة ... وانا لم اتناول طعام العشاء لحد الآن ...

اعتذرت لانني لا ادخن ، ولكنه الح علي ... أخذتها منه ... ومرارة الملقم في فمي ... وضعتها على الطاولة الصغيرة التي امامي ... يسر ريفي ... دخن هو سيكارتة ، ومازال طعمها في فمي مُراً .
قال :- صباحاً سيصل جثمان ابنك الشهيد .

لسمعتي مرارة التبغ .

x x x x x

- ٩٠ -

انه صوت الباب يغلق ...

دخل الغرفة ...

كان هناك شيء ما يلتصق في عينيه ... هل أسأله ؟ جلس على الاركة ...

هل جاع ؟

كانت «مها» بين يديه غافية ... تركها نائمة على ركبتيه ... اخذ يهدئها ...

هل أسأله ؟

قام من مكانه ... وضع «مها» على الارض ... غطاها بيشماغه بعد



- ٤٥ -

كركرت ... ضحكت بفرح ... شاركها ضحكها بشفتين مرتعتين ... رفعها بين ذراعيه الى الاعلى ... حملها على صدره ... قام بها ...

الى اين هو ذاهب ؟

توجه بها الى باب البيت ... هل سيأخذها الى الشارع ؟ ! فتح الباب ...

كانت الطفلة ممسكة بلعبتها .. وهو ممسك بها بين ذراعيه على صدره ... ثم ...

x x x x x

- ٩١ -

هل احست بقلقي ؟

لقد تنبّهت على نفسي جيداً ، كان كل شيء في قد فضحتني هل احست هي بذلك ؟ ولكن ، ما الحل ؟

جاء أحد مسؤولي المنظمة في المنطقة ، وطلب مني الحضور ... لم اجلس في المقهى .

عندما دخلتها ، كان هو بانتظاري ، وقال لي : - العم ابو احمد ، الرفيق المسؤول يطلب حضورك .

لم أسأله السبب ، ولم اقض وقتي جالساً في المقهى ... فكثيراً ما كانوا يرسلون بطلبي ... لم اقابل احداً من اصدقائي .. وكنت كثيراً ما احل لهم



- ٤٤ -

ان نزعته من رأسه .. فظهر شعره الاشيب أبيض كالقطن ... لم افطن له من قبل ... هل أسأله ؟ .

x x x x x

تلسع شيئاً من برودة خدها ... ثم تعالى نسيجهما كانت هناك ابتسامة وضاعة على شفتي «مها» وهي تحمل به «الفزيل» وهو يجبرها بموت امها .

١٩٨٧/٣/٢٢

- ١١ -

لن اخبرها ...
يجب ان التحمل الصدمة الاولى بنفسى ولوحدي .
- لماذا هي واجعة هكذا ؟ .
- لماذا هو ساكن هكذا ؟ .
- ماذا حدث لها ؟ .
- لماذا يفكر هو الآن ؟ انه حتماً سيقول ما عنده .
- لا ... لا لن اخبرها .
- لماذا هو ينقل بصره بين اشياء الغرفة ، وعندما تلتقي عيناه بعيني يزوغ .
ببصره كأنه يبحث عن شيء آخر ؟ .
- لماذا هي تلاحقني بنظراتها ... الم تكن تتابع الفيلم ؟ .

- ١٢ -

كانت عينها قد لمع فيها شيء مترجرج ... رمشت ... تحركت قليلاً على الاركة ... رفعت يدها الى عينيها ... بدأ هو ينشج ... ازداد صوته نحيباً ... طفحت دمعة على خدها البارد ... احست بحرارتها وهي

ملاحظة : - في الموروث الشعبي ، ان الطفل عندما يضحك وهو نائم يقال ان «الفزيل» - وهي دوية صغيرة جميلة الالوان .

قد تخبره بموت امه ، لهذا فهو يضحك هازفاً منه لانه قبل ان ينام كان يرضع من ثديها .
اما عندما يعبس وجهه ، وهو نائم ، فان ذلك يدل على ان «الفزيل» قد اخبره بموت والده ... وقد يصدق الطفل بذلك ، لذا ترسم على وجهه علامات الحزن والتجهم .
ولي الاحلام يقال ، ان من يضحك ، فإنه سيكي عندما يستيقظ .

١٩٨٧/٣/٢٢



- ٤٧ -



- ٤٦ -

القرار



- ٤٩ -

بعملية حسابية بسيطة ، حدد نائب الضابط محمود يوم انتهاء العمل على الطائرة ، وتجهيزها لطيران الفحص الجوي .
قال مع نفسه : - ليس هذا اليوم بالطبع ، لانه في صباح هذا اليوم بالضبط تسلمتها وجبة العمل التي اعمل ضمنها ...
وبعد لحظة قصيرة ، استطرد مع نفسه قائلاً : - وليس في الغد على أي حال ... ولكنه - حتماً أكد مع نفسه - سيكون بعد غد صباحاً ، ستكون الطائرة جاهزة لطيران الفحص الجوي .
كانت الطائرة التي مازالت تشغل بال نائب الضابط محمود ، قد أدخلت الى الجناح الفني لغرض اجراء عمليات الفحص الدوري عليها ، وكان ذلك في صباح هذا اليوم ... حيث بدأ المراتب الفنيون يعملون على اجراء الفحوصات الدورية عليها ..
إذن ، حدث نفسه بعد اجراء تلك الحسابات : - سوف اتصل بهم في الغد صباحاً بواسطة الهاتف ... سأخبرهم بكل التفاصيل .
كانت الساعة تشير الى الثانية بعد الظهر عندما نظر اليها محمود ... فيها كانت السيارة الصغيرة التي يشاركه اربعة ركاب آخرون الجلوس داخلها بعد أن أقلته من قرب وحدته العسكرية ... منطلقة بسرعة عالية على هذا الطريق الاسفلتي الذي كثيراً ما قطعه ذهاباً وإياباً بعد أن يضع نموذج الاجازة الدورية في جيبه ، وبعد حقيقته الصغيرة حيث يضع فيها بعضاً من الهدايا لابنته الصغيرة «أسيل» ولأبن أخيه «مهند» .. ثم يودع رفاقه .
اما اليوم ، قبل ساعتين تقريباً لم تسنح له الفرصة لوداعهم ... وها هو الآن ينظر من خلال زجاج نافذة السيارة الى جانبي الطريق حيث امتدت



- ٥١ -

تناثرت الاسئلة على تفكيره متساقطة وهي تطرق صفحة رأسه من الداخل وكأنها حبات صلبة تنفرط من بين اصابع طفل ... كانت الاسئلة تلك وكأنها تريد أن تستدرجه لايجاد حل للمشكلة التي اوقع نفسه بها ... ولكن من اين لي الفكر الصافي - أكد لنفسه - فقد تشوش الفكر ، وتاه العقل ... وانت مسجّي هناك بين الناس ... بلا روح .. ولا نبض ، ولادم ... أه ياخي ، ماذا سيكون الحال لو ان مجموعتي قد انتهت عملها على الطائرة هذا المساء ؟ ماذا سيكون الحال لو ان الطائرة طارت صباح الغد وفيها ذلك «الملل» اللعين ؟ ماذا دهاني وقتها ؟ غيبي كيف نسيت ... كيف ... كيف ؟

x x x x x

- نائب ضابط محمود .

- نعم ...

- ضابط التوجيه السياسي يطلب حضورك امامه فوراً .

هذا ما اخبره به احد زملائه ... وذهب ... ذهب دون ان يسمع منه جواباً .

وقتها ، ياأخي ... لم ارفع رأسي ... كنت اعمل على الطائرة . قلت مع نفسي : - سأنتهي من عملي واذهب اليه ... خمس دقائق فقط ، يجب ان انتهي من تركيب هذا الجهاز اللعين الذي اهدر من وقتي اكثر من ساعة لتربيته لوجود خلل في ساكن التثبيت ... ولكن ماذا يريد مني ضابط التوجيه السياسي ؟ - سألت نفسي ... ثم يسبق له ان طلبنى ولولمة واحدة ، هل حدث مادعاه الى طلبي ؟

x x x x



- ٥٢ -

حقول صفراء كبيريق الذهب ، ولمح من بعيد آلة حصاد تعمل في احد الحقول .

كان كعادته دوماً ، يحب الجلوس قرب النافذة ... ولا يهم ان كانت شمس الظهيرة تضرب جانباً من جسمه المرتكن على باب السيارة ، بحرارتها ...

كان يغلق النافذة ، ويرسل بصره الى حيث تلك المساحات الخضراء او الصفراء من حقول الحنطة الشاسعة ... وعندما يملأ الفضاء الداخلي للسيارة بدخان سيكائر المسافرين ، كان يفتح زجاج النافذة قليلاً ، فهو لا يدخن ، ويكره التدخين داخل السيارة اثناء السفر ، وهو لا ينام مهما طال الطريق ، لانه ، وكمن يبرر ذلك ، لا يريد ان تفوته مثل هذه المناظر الجميلة ... اما الآن ، فقد وجدت السيكرة التي اشترى علبه كاملة منها من كراج السيارات ، طريقها الى قمه ... وبدون لذة اخذ يملأ قمه بالدخان ... ويقذف به الى خارج السيارة بعصبية وانزعاج ، حيث احس بانقباض في صدره لم يارحه منذ ركب هذه السيارة .

سأل نائب الضابط محمود نفسه بعد أن اشعل له سيكرة ثالثة : -

- هل يعود اليهم ؟ ام انه من الافضل ان يتصل بهم هاتفياً بعد ان يصل الى بيته ؟

جفل عندما نطق بكلمة «بيته» ... تساءل : - اي بيت ذاك الذي سأصل اليه ... ؟ حتماً لن اجد الفرصة التي تمكنني من الاتصال بهم ... وأخي ... ! أه ... هل مازال بينهم جسد مسجّي ، لاهية ... لا نبض ... لادم ... لا ... هل اعود الى وحدتي ؟



- ٥٣ -

- نائب ضابط محمود

- نعم .

نظرت الى مصدر الصوت هذه المرة ... كان ضابط التوجيه السياسي نفسه ، واقفاً قرب مقدمة الطائرة التي اعلم عليها ... كان ينظر اليّ نظرات لم اقرأ فيها شيئاً محدداً ... ولكنني وجدته يدير رأسه بعد ان التقت عيني بعيني مباشرة .

تركزت الجهاز ... نزلت من ظهر الطائرة ... لم اكن اعرف انني لن اعود اليها مرة اخرى هذا اليوم ... قلت مع نفسي : ربما طلبني لحاجة ما ...

سحبني من يدي وكأنه يريد أن يسرنني بشيء ما ... خرج بي من الملجأ الكونكريتي الكبير الذي ارتكنت في احدى زواياه الطائرة التي اعلم عليها ... اركبني معه العجلة العسكرية ... و ...

قال كل ما يجب ان يقال ... بدت لي صور الاشياء من خلال زجاج العجلة لم اتمالك نفسي ... احسست ان هناك في جسمي ، وبين شراييني قد توقفت شيء ما فجأة ... برودة في اصابع يدي ... صرخت ، هل استشهد - أخي حقاً ؟

قال لي وقد بدا الالم واضحاً على ملامح وجهه : - انك رجل مبداً ... رجل شجاع ...

نزلت قفزة دمع على خدي الذي حلقته صباحاً ... احسست بها وهي تكري صفحته ...



- :: -

مسح عن خده بعض قطرات من الدمع وجدت طريقها اليه ... فيما كانت السيارة تشق طريقها ... والركاب الثلاثة الآخرون يغطون في نوم قلبي ... اما الراكب الذي بالقرب منه ، فقد راح يكابد نعاساً أثقل جفنيه والسيكارة بين اصابع يده وقد احترق ما فيها من تبغ ... فلم يستطع ان يسرق من بين حركة السيارة اغفائه له .

نظر اليه محمود مشفقاً ... ولم يشأ ان يحدثه ... بل راح بصره مرة اخرى الى جانب الطريق ... ومع نفسه تساءل : - هل اعود ؟

عادت الاسئلة من جديد تطرق تلايف فكره المشوش ... فكر ... واخي ؟

- اعرف انهم لن يدفونوه حتى اصل اليهم ... ولكن «المفل» اللعين ... آه ... سكين حادة تجوس في احشائي ...

كانت الحرقعة قد أحس بها مع كلماته وهي تنغرس في فمه ويلعومه الذي جف كلياً ... مرارة ملأت فمه ... سائل لزج كثيف اختلط مع دخان السيكارة ، فأصبح لسانه خشبة جافة لاحياة فيها .

تهدد مع نفسه قائلاً : - حتى انهم ينتظرون وصولي اليهم ... ليس له غيري ... و«المفل» ... ؟ والطائرة ... وطيراتها ؟ ... نصال حادة تنغرس في احشائي ... أحس بها ، لهيب نار حامية تحرق اعصابي ... هل كان خطأ مني عندما نسيت ؟

لم اكن اعرف بأنني لن اعود الى عملي مرة اخرى ... ولكن آه ... ياسيدي ... لو تأخرت قليلاً ... خمس دقائق فقط لما حدث كل هذا ... دقائق قليلة وانتهى من عملي ياسيدي ماذا لو لم استطع الاتصال بهم ؟

x x x x x



- ٥٦ -

قال : - أرجو ان تكون قوياً ...

سقطت دمعة اخرى ، حسبتها سكيناً تشق الجلد وتنغرس في لحم وجهي بنصل حاد حام ...

قال : - ان أخاك بطل شجاع ...

احسست بشيء ما يوخز جنبي في منطقة القلب ...

قال : - ان الشهداء احياء يعيشون بيننا ...

عندها لم اتمالك نفسي ...

قال : - سيواجه ربا كريماً .

بكيت ...

اما هو فقد سكت ...

كان في وجهه حزن تبيته من بين دموعي ... تركني ابكي ... احترم بكائي ... وعندما انتهيت من ذلك البكاء اللذيذ ... قال لي بعد ان أخذ كفي بين كفيه : - البقاء في حياتك .

شكرته ... قلت له : - سيدي ، لقد استطعت ان تزيل عن نفسي مفاجأة الصدمة الاولى ... كنت كريماً معي ... كانت كلماتك بلسماً للفرح الذي احلته استشهاده أخي ... انك - ياسيدي - لم تعرف أخي ... انه ليس أخي فحسب ... انه اخي وابي وامي ... ولكن ... آه ... ياسيدي ... ان ثمن الحياة غال جداً ... أن تعيش بسلام يعني ان تدفع اغلى ما عندك ... ان تعيش بشرف أو ان تدفع حياتك في سبيل هذا الشرف ... في سبيل المبادئ التي تؤمن بها ... المبادئ التي توصلك الى الحياة ... رحمه الله ... لقد كان لي الاب والابن والام .

x x x x x



- ٥٥ -

ها ، هل تتحدث معي ؟

- ها ...

اجفله صوت الراكب ... انتبه الى نفسه ، كان تفكيره قد وصل الى سمع الشخص الجالس بالقرب منه ... اذن فقد سمع الراكب حديثي ... حتى انه سيقول عني مجنون ... ليقول ما يقول ... ربما جنت حقاً ... كيف اترك ذلك «المفل» اللعين ... لماذا ياسيدي تاتيني في تلك اللحظة بالذات ؟

لماذا تطلبي ، لماذا ... لماذا ؟

- ستطير الطائرة ياسيدي ، وذلك «المفل» اللعين مزروع في احشائها ... كارثة ، ستقع ياسيدي ... واخي مازال هناك جسداً مسجى يتظر عودة اخيه الذي لن يراه بعد الآن ... اخوه الذي سيدفنه بيديه .. و«مهند» ماذا سيفعل ؟ . ما الذي يستطيعه ذلك الطفل الصغير ؟

آه يا صغيرنا العزيز ... لقد استشهد والدك ... هل تريد أن تراه ؟

أزخ عن وجهه ذلك الغطاء الابيض ... ارفع كفته البارد ... انظر ... انظر يا صغيري الى وجه والدك الشهيد ، الى هاتين العينين ... فماذا ترى فيها ؟ انظر يا صغيري ... حتى انك ستري نفسك في واحدة منها وتراي في الأخرى ... هذا هو والدك ... قلبه نصفان ... نصف لي ونصف لك ... اترى تلك الهالة المضيئة المحيطة بوجهه ... انها هالة القديسين والشهداء ... اتساءل ما هذا ؟ ؟ !

آه يا صغيري ... انه «المفل» اللعين ... ذلك الذي انغرس في قلبي ... «المفل» الذي سيؤدي الى كارثة ... كارثة ... كارثة ...



- ٥٧ -

- هل تشكون من شيء يا أخي ؟ -

كان الذي يجلس بالقرب منه قد هزه من كتفيه ، لقد سمع حديثه مع نفسه .. سمع صوت افكاره العالية ... انتبه اليه ، وقبل ان يقول له : آسف ، رأى من خلال الزجاج الامامي للسيارة التي تقفه .. سيارة تمرق في الجانب الآخر من الطريق وهي تحمل نعش شهيد ملفوف بالعلم العراقي ... عندها صاح بالسائق : - قف .

ارتجت السيارة الصغيرة على الطريق ... قادها سائقها الى الكنف الترابي للشارع ... اوقفها فجأة ... ادار رأسه الى حيث كان محمور جالساً ... وقبل ان يسأله السبب ، كان محمور قد فتح الباب ونزل .

قال لهم معتذراً : - ارجو المذرة ، لقد نسيت آل ...

اراد أن يقول لهم انه نسي «الملق» في الطائرة ، وسوف نطعم الطائرة ... وستقع الكارثة ... لكنه اعتذر بلباقة ... وودعهم بعد ان اخذ حقيبته الصغيرة .

كانت السيارة قد تحركت من امامه ، عندها رفع كفه ومسح بعض قطرات من دمع وجدت طريقها الى خده ... احس بلفحة هواء بارد تمسح حرارة تلك القطرات ... تنفس بعمق ... احس برجفة باردة تصعد من بين ضلوعه وتدخل قلبه ... عندها عبر الى الجانب الآخر من الطريق ... ينتظر سيارة تعيده الى وحدته .

١٩٨٧/٣/٢٠



- ٥٨ -



- ٥٩ -

- ١ -

كان الفجر لثوه قد بدأ يرسم حواله شفافية رمادية محببة ... وضياء الشمس لم يشع بعد ، وبدأت الاشياء من حوله تتجسم بكياناتها ... عند ذاك استطاع الجندي الاول علي حسن ان يميز عن بعد قريب كل شيء ... وقتها احس بقوة جسدية وصفاء ذهن تام يحتويانه بعد ساعتين من نوم عميق سمح بها مساعد وحدته بعد ان حدد له مهمته ووقت الانطلاق .

ادار بصره حول الشاحنة المركونة في شق احده احد «الشفلات» في الارض .

كان ، ولثوان قليلة قد انتهى من عملية ربط الغطاء النسيجي حول جوانب الشاحنة ، بعد ان تأكد من انتهاء رفاقه الجنود من وضع آخر صندوق خشبي فيها ... دار دورة كاملة حول الشاحنة ، حيث لم يترك لبصره حرية الزوغان الى اية جهة ما ... اراد ان يطمن للمرة الاخيرة على ربط الحمولة جيداً بالغطاء النسيجي للشاحنة ، بعدها وضع خوذته المعدنية على رأسه واحكم وضعها جيداً ، ثم نظر الى أعلى كم قميصه الخاكي ليتأكد جيداً من وجود الحيط الاسود الرفيع في مكانه ، فانفجرت شفتاه عن ابتسامة صغيرة ، ثم قال مخاطباً شاحنته التي لم تزال تجثم في مكانها : -

- لولاك يا حبيبي ، لما حصلت على هذه الترقية من القائد ، لما وضعت هذا الحيط الاسود على كم قميصي ، وانا حديث الخدمة ... انه التكريم يا معبري ...

x x x x x x



- ٦١ -

لم يتفوه بكلمة ... ادى التحية العسكرية بحماس وانتظام وقال : -
نعم سيدي .

x x x x x

- ٣ -

كانت الشاحنة ترسل بضجيج محركها الى اذنيه عندها سمع خشخشة
تأتيه من المذياع ...
لم يستطع ان يلتقط صوت مكرىء القرآن بصورة جيدة ... كان
صوت الخشخشة يعلو على صوت المقرىء ... حرك زر المذياع يمينا وشمالا
دون جدوى ... قال مع نفسه كمن يرر فعلا ما : - ربما تأثر ببعض ذبذبات
الاجهزة ... لقد شوشت عليه ...
عندها اغلق المذياع ، فسمع صوت ازيز يأتيه من بعيد ... اخرج
رأسه من نافذة الشاحنة قليلا ، مد بصره الى الامام ... نظر نحو السماء ،
هتب بصوت عال : - إنها طائرة معادية ... هيا يا محبوتي سيدي على بركة
الله ... ثم بصوت خفيض : - يا الله ... وضغط بكل قوته على دواسة
الوقود ...
كان صوت ازيزها يقترب منه ... فرأها من خلال الزجاج
الامامي ... انها تقترب منه بسرعة ... نحن مع نفسه انها بعد ثوان ستكون
فوق الشاحنة ...
كانت الطائرة تقترب منه بسرعة فائقة خال انها ستصطدم
بالشاحنة ... كانت المسافة بينها وبين الشاحنة قليلة جداً عندها صاح



- ٦٣ -

السماء ... وكان الازيز يزداد قوة ... نحن مع نفسه بأن الطائرة آتية من
الخلف ... كان شبحها المرتسم على صفحة المرأة يكبر ... ثم اصبح يغطي
نصفها ... ادار بكل قوته مقود الشاحنة الى اقصى اليمين ، ويقدم ثابتة قوية
ضغط على دواسة الوقود بقوة ... عندها سمع صوت انفجار يأتيه من جهة
اليسار ... رفع قدمه من على الدواسة وضغط على دواسة الوقوف ، فأحس
بالشاحنة ترتج من تحته بقوة ، وتسحب الى الامام ثم تدفع به الى الخلف
وتقف ...

نظر الى ما حوله ، كانت الشاحنة قد ابتعدت كثيراً عن الطريق
المعبد ... نظر الى جهة اليسار ، لمح عن بُعد دخاناً يتصاعد من حفرة كبيرة
احدتها سقوط الطائرة ...
ضرب بكفه على مقود الشاحنة وابتسم ... ثم خاطبها قائلاً : - لقد
نجونا ايها العزيزة ... لم ينل منا هذا المجنون ، لقد علمته قواتنا درساً لن
ينساه ... انها دقائق وستكون هذه الصناديق في الخطوط الامامية حيث رفاقنا
يربضون هناك ..

x x x x x

١٩٨١/٤/٢٢



- ٦٥ -

- ٢ -

كانت الارض امامه منبسطة والطريق مفتوح ، اسود ، حديث
التعبيد .

ادار زر المذياع الصغير الذي كان يحتفظ به مربوطاً على واقية الشمس
الامامية ، فانبسط امام سمعه صوت رخيخ تحمل نغماته آياً من القرآن
الكريم ... نظر الى ساعته ، كانت عقاربها تشير الى السادسة صباحاً ...
قال مع نفسه : - يجب ان اصل اليهم بعد نصف ساعة ... انهم -
الآن - يتظرونني ... يجب ان اوصل هذه الصناديق الخضراء اليهم ...
يا الله ... قالها بصوت خفيف ، وحرك جسمه على مقعد الشاحنة ... انهم
يتظروننا يا عزيزي ... ثم دفع قدمه الى الامام ضاغطاً على دواسة الوقود ،
فأحس بالشاحنة تندفع على الاسفلت الاسود بسرعة ، الى الامام .
كانت روحه تستمع الى صوت المقرىء بخشوع ... حيث سرت في
جسمه قشعريرة احس بها تصعد من اطراف قدميه الى جلدة رأسه كأنها تيار
كهربائي خفيف ... عندها لم يتمالك نفسه فصاح بصوت عال : -
يا الله ... وضغط على دواسة الوقود ، فأحس بالشاحنة تطير به .
قال مع نفسه مؤكداً : - يجب ان تصل الصناديق اليهم بسرعة ...
وفي الوقت المحدد ... انهم بحاجة لها ويجب ان يصل العتاد الى الخطوط
الامامية بسرعة وحذر ... اعتمد عليك ... هكذا خاطبه مساعد
الوحدة ...



- ٦٢ -

بصوت عال : - هيا يا محبوتي ... هيا ... يا الله ... وادار مقود الشاحنة
نحو اليسار ، فبانت من امامه الارض صفراء جرداء ... عندها سمع صوت
انفجار من جهة اليمين هتب : - الحمد لله ... لقد افلتنا منه ... ولكنه
سيعود حتماً ... سيعود هذا المعتوه .

x x x x x

- ٤ -

ادار زر المذياع ، فانساب صوت مكرىء القرآن صافياً وهويرتل تلاوة
الصباح قال مع نفسه : - الحمد لله ... لقد افلتنا منه ... لولاه يا حبيبي
لاصبحنا رماداً بعد نار ... ثم ادار مقود الشاحنة مرة اخرى نحو
اليمين ... وضغط على دواسة الوقود ، فانسابت الشاحنة على الارض
الرملية ... حتى اعتلت الطريق المعبد ...

كان اسفلت الشارع امامه نظيفاً حديث التعبيد ... وكان صوت
المقرىء يأتيه صافياً ، وفجأة تقطع الصوت ... سمع مرة اخرى صوت
الخشخشة ، عندها سمع ازيز الطائرة يأتيه من بعيد ... نظر الى المرأة
الجانبية للشاحنة ، لم ير شيئاً سوى لون السماء ... ازداد الازيز ... ثبت
نظره على المرأة ، حيث كانت صفحاتها الملساء تعكس لعينه زرقه السماء ،
قال مع نفسه : - انني اعرف بانه سيعود ... سيعود هذا المعتوه ... لكنني
لن اسمح له بأن يصيب الشاحنة ... سترى ايها اللعين ذلك ...

كان الازيز يعلو شيئاً فشيئاً ... عندها تراءى له شبح اسود منطبع على
صفحة المرأة الجانبية ... بدا الشبح يزيج عن صفحاتها بعضاً من زرقه



- ٦٤ -

النافذة



- ٦٧ -

ابتدأت الفكرة عنده هكذا
لم يعرف ما اذا كان سيحقق شيئاً ما . . . كل مايعرفه ، عن نفسه ، انه
مقعد . . . مشلول الساقين . . . يقرأ جريدة اليوم ، وبعض المجلات
العربية «باستمرار» . . . حيث يحصل عليها من اخيه الذي يصغره بسنين .
كاد - لولا هذا الشلل اللعين - ان يصبح معلماً منذ سنين ، لكن موت
ساقيه ، افقده كل حماس في القراءة ، ومتابعة دروسه في دار المعلمين .
لقد وقع عليه هذا الشلل ، كالصاعقة ، فأمامت في نفسه كل جذوة
المتابعة والدرس . . . ولم ينفع معه مالقىه من دعم ، وما سمعه من كلمات
تشجيع من والديه واخوته ، مثلاً لم تنفع معه ادوية الاطباء وعلاجهم الطبيحي
المستمر .

هكذا بدأت عنده الفكرة . . .
كان يقرأ قصة تتحدث عن اجواء الحرب ، بطلها واحد من جنود
العراق ، حيث تعرف اليه من خلال تلك الكلمات والجمل التي شكلها
الكاتب فاخذت تنبض بالدم والحياة . . .
«كانت الشظية سباً قاتلاً . . . لم يعرف ، ما إذا كانت ساقه قد بترت
بسبب هذه الشظية ام انها مازالت مربوطة بجسمه المتعب . . .
كل الذي يعرفه ، انه قد مضى عليه اكثر من ساعة ، وهو يحاول ان
يزيل الركام عن نصف جسده الاسفل ، كانت القنبلة قد هدمت كل
شيء . . . احوالت الموضع الى ركام ، ركام اسود ، مسموم . . . ولكنه
استطاع ان ينهي عمله . . . فكان اول ما عرفه ، هو ان ساقه اليسرى لم يحس
بوجودها .



- ٦٩ -

رفع رأسه الممتد باستقامة جسمه الى اعلى قليلاً... كانت ساقه مازالت موجودة حيث هي... كل شيء حولها قد تمزق... فلم يبق من سرواله سوى خرق ممزقة، ملونة بالدم والتراب...
كان كل شيء فيه قد تمزق... حاول ان يرفعها، فلم يستطع...
لقد مات فيها كل شيء... فندت من فمه آهة قوية...
آه... اللعنة على هذا الشلل...
رمى الجريدة على المنضدة الصغيرة القابعة الى يسار سريره... حاول ان ينهض نصف جسده الاعلى من الفراش، اعتمد على مرفقيه... رفع ساقه اليمنى محاولاً انزالها من على السرير... لامست بلاطات ارضية الغرفة... «أحس» ببرودة الارضية وبللته تسري في جسمه... هكذا تخيل - ولكم لسعته حرارة هذا البلاط في الصيف، واقشعر جسده لبردوته في الشتاء... اما الآن... فاللعنة على هذا الشلل الذي امان تلك اللذة...
انزل ساقه الاخرى... رفع عكازتيه المعدنيتين الى استقامة جسمه... وضعهما تحت ابطينه... وارسل بحافاتها السفلية المتأكلة الى الامام بتعاقب...
تقدم الى نافذة غرفته... ازاح ستارها، فتح ظففتها باتساعها... هبت عليه موجة هواء بارد من حديقة بيتهم... كانت موجة الهواء تفوح منها رائحة الزهور التي زرعها ابن اخيه امام النافذة...
امتد بصره الى امام... عبر سياج البيت... كان الشارع يضج بحركة السيارات والمارة...
لمح على الرصيف المقابل فتاة تسير الى جنب شاب يرتدي البزة



- ٧٠ -

كان القلم بين اصابعه هادئاً بصمت... فيها كان نظره مزروعاً في بياض الاوراق... فكل لو انه ينتهي من هذا العذاب... ان يكتب الكلمة الاولى... الكلمة الاولى فقط لكان الامر عليه... لتحرك القلم، وملا هذه الاوراق...
«لو يعرف الآن ماذا يفعل، هل يظل واقفاً فوق ركام هذا الملجأ؟ هل يتحرك؟ الى اين...؟ اين هم رفاقه، من سلم منهم ومن استشهد...؟ هل تركوه... لو يعرف الى اين اتجهوا؟!...»
لا يعرف كيف يبدأ الكتابة... فهي المرة الاولى التي يحس فيها ان هناك ما يدفعه الى الكتابة، طاقة كبيرة يحسها تشده الى ان يكتب شيئاً... لو يبدأ فقط، الكلمة الاولى، وبعدها سيجري القلم على الورقة البيضاء خفيفاً، وسهلاً...
ان كل قصة - كان يحس بذلك - يقرأها عن اجواء الحرب، هي قصته التي سيكتبها... انها قصته هو... انه المسؤول عن كل كلمة فيها، وكل جملة، وعلامة... ولكنه ود ان يجعل من كلمته اداة لكتابة قصة تضاف الى تلك القصص... ان يكتب... ان ينقل ما في نفسه من احساس ومشاعر، ان ينقل الى الورق كل نبض القلب، وكل اندفاع الدم في عروقه وشرايينه ذلك الوجع الذي يحسه وهو يستمع او يقرأ عن اخبار الحرب... عن الانتصارات... عن الرجال الابطال... عن اخيه المقاتل وابنه الذي يسقي الازهار تحت شرفة نافذة غرفته...
فهو لا يريد منها ان تكون صالحة للنشر... كان المهم عنده ان يكتب... ويكتب، يحيل تلك العذابات التي تمزق كيانه الى مسرات



- ٧١ -

العسكرية... وتذكر صورة اخيه العسكري بيزته الحاكية اللون... والى جنبه جلس هو على الكرسي المتحرك... كانت بزة اخيه قد بدت نظيفة ومكوية... وكان هو قد رفع رأسه واداره الى حيث وقف «اخوه» كانوا في حديث ود، تمخى لو استطاع ان يسمع بعضاً منه، لو يسمع ما يقوله هذا العسكري الشاب الى فتاته هذه... ربما كانت اخته، زوجته، حبيبته... وكان مزهواً بيزته العسكرية، وبفتاته، وبسمته التي ملأت فمه...
المهم انه احس بأن كل شيء فيها بينها ينم عن انسجام وود...
ابتسم، ثم عاد الى سريره...
جلس على طرفه، مَدَّ يده الى المنضدة... اخذ منها بعض اوراق بيضاء كانت مركونة عليها... سحب قلماً جافاً من بين مجموعة من الاقلام... ثم جرَّ جسمه الى طرف السرير الآخر... اتكأ على حائط الغرفة المغلف باوراق ملونة، بعد ان وضع وسادته خلف ظهره... ثم اخذ ينظر الى بياض الاوراق التي اصبحت بين يديه، ثم لَمَّ ساقيه تحت جسمه، بعد ان سحبها بيديه... حرك القلم على الورق... كان...
والليل قد مد بظلامه الحالك من حواله... حاول ان يرفع جسمه الى الاعلى... ان يقف على ساقيه، لم يستطع ذلك... خاتته قواه، ام خاتته ساقاه؟! لم يحس بها... مد يده عليها... اللعنة... انها موجودتان، بحث عن شيء ما ليتكىء عليه، فلم يجد شيئاً في الظلام الدامس... تحسس بيديه المنطقة التي تحيط بجسمه، احس بشيء صلب يصطدم باطراف اصابعه... حرك جسمه نحو ذلك الشيء... كان انبوباً حديدياً... سحبه اليه... حاول ان ينهض بمساعدته... ركز ساقه السليمة على الارض... امسك بكفيه الانبوب، ونهض...»



- ٧١ -

تنوزعها ايدي الابطال... كان كل شيء فيه يدفعه الى ذلك... هذه السمات الباردة التي تهب عليه من نافذة الغرفة معطرة بأريج الزهور... صورة اخيه المعلقة على الجدار بيزته العسكرية وهو يتنصب مزهواً على دبابة محترقة للعدو... ابتسامة الرفيق القائد صدام حسين وهو يقف قرب مكتبه... تساءل: متى كانت آخر مرة رأى فيها هذا الرجل بالملابس المدنية؟ قبل سنتين... اكثر من ذلك...
كان فيه احساس في ان مثل هذا الرجل لا يهيمه نوع ولون الملابس، المهم - قال مع نفسه - ان يصل بشعبه الى بر الامان...
«المهم ان اصل الى قواتنا... يجب ان اسير بهذا الاتجاه... هنا كان موقع باب الملجأ... وكان هذا الباب المحترق على الارض يفتح باتجاه قواتنا... اذن يجب ان اسلك هذا الاتجاه... يجب ان اصل الى اقرب موقع لنا قبل بزوغ الشمس آه اللعنة على...»
كان صوت ابن اخيه يأتيه من حديقة الدار، يعرف انه الآن يسقي الزهور التي زرعها والده قبل ان يقطع اجازته الدورية قبل اكثر من شهرين، ويعود الى وحدته... وقال له مرة: ان الزهور تعطي المكان جمالاً، والجو رائحة طيبة...
فرد عليه بابتهاج: اعرف ذلك... وضحك...
«كان الظلام من امامه ومن خلفه، سكناً قاتلاً... يحسه كالسم يسري في شرايينه... لم يسمع سوى صوت ساقه وهي تنسحب على الارض... قال مع نفسه: - انها ترسم من ورائها خطاً على تراب الارض... انها تشق طريقها بقسوة وجبروت... انها تتقدم...»



- ٧٢ -

وقف قليلاً ... مدّ بصره الى الخلف ، لم يكن هناك ثمة شيء سوى الظلام ... كيف حدث هذا ؟ ... هل سكنت المدافع الى هذا الحد ؟ ... من اين لي الان من صوت يشق هذا الصمت ... هذا السكون ؟ ... هل انتهى كل شيء ؟ ...

احس ان في قلبه شيئاً ما يريد ان ينبجس ... ان ينفجر ... ان ...

اغمض عينيه على بياض الاوراق ، تنفس بعمق ... حاول ان يتذكر شيئاً ... شيئاً ما ... ليكن ... آه ... لقد وجدتها ... تكون هي قصتي الاولى ... هل اقدر على الكتابة فيها ... سأبدأ ... سأبدأ من حيث بدأ اخي بحكاياته عن صديقه الذي استطاع الهرب من الاعداء ... ستكون قصة رائحة بالطبع ... حتى سأنجح في ذلك ...

تقدم بطلها الذي تهدم عليه الملجأ ...

وكان القصف المدفعي مستمراً ... الساعة الرابعة مساءً ... كنا داخل الملاجئ والمواضع ... بدأ كل شيء فجأة ... لقد فتحت جميع فوهات مدافعنا ومدافعهم ، اسلحتنا الخفيفة واسلحتهم ... تلقينا أمر التقدم ... فرحنا كثيراً ، فرحنا نتقدم ... كان كل شيء امامنا مفتوحاً ، كنا نشاهد جنود العدو ينزفون من امامنا ... يتركون مواضعهم وملابيحهم ويهرولون ... لقد اربعهم تقدمنا ... هذا الزحف الجبار ... وصلنا الى مواضعهم التي تركوها ... دخلت ورفيقي احدها ... كان خالياً ...

كم لذينة هي الكتابة ... انها بداية لا بأس بها .

سحب علبة السكاير من فوق المنضدة ... اخذ منها واحدة ... اشعلها ثم دسها في فمه ... سحب منها نفساً عميقاً ... وحمل قلمه ...



- ٧٤ -

الفجر ، الليل ستر ، حتى انهم قد افتقدوا الآن ... سيبحثون عنك ... وقف قليلاً .. كانت ساقه قد اتعبته كثيراً ... مدّ بصره في ظلام المكان ... احس بالبرد يوخز جسمه ، تأكد من جديد بأن جسمه سالم من كل شيء لولا هذه الشظية الملعونة ... دفع بجسمه الى الامام ... كان الظلام هو الشيء الوحيد الذي الفته عيناه ...

نظر الى ساعة يده ، لم ير التمازج فسفورها ، تحسها بأصابع يديه ... كانت زجاجتها مكسورة ... قربها الى اذنه ، لم يسمع تكتكاتهما ... حركها ، مرة واخرى ، دون فائدة ... قال مع نفسه : - يجب ان اصل قبل الفجر ... رفع رأسه الى الاعلى ، كانت الفيوم سوداء حالكة تحجب القمر وضوؤه ... عندها ترك لتقديمه حرية الحركة فسار في الظلام ... و ...

قف ...

رفع رأسه ، كان ابن اخيه يقف امامه ، يتسم له ، وكان يضع يديه خلف جسمه .

ابتسم له ... عرف انه يخفي شيئاً

: - اغمض عينيك .
سأله الطفل بفرحة .
: - لماذا ؟
اجابه مبتسماً .

أعاد الطفل سؤاله مؤكداً : - قلت اغمض عينيك وسترى . كان يحبه وكان دائماً ما يحدثه كصديق ... يجلسان سوية ، يتحدثان عن كل شيء ... وكان هذا الطفل المشاكس العنيد ، ينقلب امامه الى حمل



- ٧٦ -

« كان كل شيء في مواضع العدو قد ظل كما هو ... صناديق العتاد ... الرمانات اليدوية ... البنادق ... بعض الملعبات .

قال رفيقي : - لقد تركوها وانهمزوا ... جنباء .

ابتسمت له ، قلت : - هكذا هم دائماً ...

دخل علينا رفيق ثالث وأخبرنا : - اتركوا كل شيء ... لقد صدرت الاوامر بالانسحاب ... نفذنا الواجب بدقة ... هيا ...

رفع عينيه من صفحة الاوراق البيضاء المبعثرة في حوضه ... نظر الى عكازتيه ... جمع اوراقه ... وضعها فوق المنضدة ... مدّ ساقيه بمساعدة يديه ... انزلها الى الارض ... تحرك قليلاً الى الامام ... احدى العكازتين ثم غمض واقفاً .

- سأتحرك قليلاً .. « حدث نفسه بانشرح » .

اقرب من النافذة ، كان ابن اخيه مازال واقفاً في وسط الحديقة . رآه يتأمل بعض الازهار .

رجع الى مكانه ...

كانت شرافش سريره مبعثرة ... نظر الى الاوراق الملقاة على المنضدة ، جمعها بين يديه ثم اخذ يقرأ بهمس ماكتب فيها ... كانت الكلمات امام عينيه تتحرك ، تأملها جيداً ... ابتسم ، ضحك ، قهقهه عالياً ... اقرب من سريره وضحكته مازالت تملأ الغرفة ... جلس على حافة السرير ... اخذ الجريدة وبدأ يقرأ القصة من جديد ...

« لا تياس ، يجب ان تصل الى مواضع القوات ... يجب ان تقهر هذا الالم ... هذا الظلام ... الصمت السكون ، يجب ان تصلهم قبل



- ٧٥ -

وديع ... الى انسان آخر ... يحدثه عن الحديقة وعن الارض الخضراء ، ين الزهور وانواعها ...

نظر اليه ... ثم اغمض عينيه ..

« تسمر في مكانه ... بحث عن مصدر الصوت ... رأى اشباحاً تتحرك بعيداً عنه ... عرف فيهم جماعته ... اذن جاؤوا للبحث عنه ... حتى انهم من جماعته ... كانت - قف - تحمل زخماً قوياً من الرجولة ، لقد هودت اذناه على سماع هذه الكلمة ... » .

صاح به الطفل : -

- افتح عينيك ...

كانت باقة جميلة من الزهور ... نظر اليها ... نظر اليه ... مديده الى شعره ... مسد خصلاته الناعمة ... جذب رأسه الى قرب فمه وقبله .

: - شكراً ، انها اجمل هدية قدمت لي .

١٩٨٣/٣/٢٨



- ٧٧ -

البداية



لم يستطع السيطرة على حركة شفتيه واصططكت اسنانه التي
نخرها النيكوتين ، فاستحال بياضها الى لون بني مصفر .
كان الجو خارج الغرفة التي يقف العريف (مسعود) في منتصفها
يلتهب . . . والشمس تتصف الساء كتلة نارية ملتهبة . . . والمروحة التي
تحرك هواء الغرفة وهي تنشره على رأسه ساخناً ملتهباً ، فيها راح أمر الوحدة ،
يمسح العرق عن وجهه بمنديل ابيض وهو ينظر له بالقة وود .
مد لسانه وبلل شفتيه . . .
كانت حركة تقدم اللسان تمر عبر زمن خاله قد امتد الى ما لا نهاية .
أحس ، ان لسانه لم يستطع الوصول الى شفتيه . . . وجمع كل قواه
ليبتلع ريقه الذي ييس لأكثر من مرة فلم يستطع .
- هل توقف الزمن ؟
سأل نفسه باندهاش .
احس ان ساقيه لم تعودا تطيقان حمل جسمه الهزيل وان قلبه يسرع
بضربات المتلاحقة . . .
- ايها اسرع ، الضربات ام حركة اللسان ؟
لم يعد يفكر بما حوله . . . لم يسمع من قول أمره ولا كلمة واحدة بعد
ان سمع الكلمات الاولى .
كانت الغرفة التي يقف في وسطها بارضية صقيلة تسطع بالنور الذي
تساقط عليها من اضوية معلقة بالسقف ، وامتدت الالواح الخشبية البنية
اللون على محيط جدرانها الاربعة ، مغلفة بياض الجدران الجصية فيها راحت
المروحة تنشر الهواء في فضائها الملتهب



تساءل : - لماذا لم يتركوه ؟ فهو لم يحس بطعم الراحة سوى هذه الاشهر الاربعة الاخيرة .

فمنذ ان ارتدى هذه الملابس الحاكية اللون قبل اكثر من عشر سنين وهو ينتقل من مكان الى مكان مع وحدته ووحدات اخرى ... لم يعاقب ، ولم يتخلف عن واجب ... ولم يغيب في يوم ما ولا لدقائق معدودة ... لماذا لم يتركوه بعد ان انتقل بالقرب من اهله . لماذا ؟ .

اكذ لنفسه ، فيما كان أمره قد اعاد وجهه الى الاوراق التي امامه يقلب فيها : -

- صحيح انني عسكري ، وضابط صف مشهود لي بالشجاعة والاحترام ، ولي اكثر من كتاب شكر وتقدير في اصاباتي الشخصية ونلت وسام قماش احمر اللون ثبته على «بيريتي» السوداء ، وصحيح انني قد نذرت نفسي للوطن والاهل منذ ان وضعت هذه (البيرية) السوداء على رأسي ، ولكن لماذا لا يتركوني انعم بالراحة ولولا شهر اخرى مع زوجتي واطفالي ومن ثم ليقلوني الى ما شاؤوا من الاماكن .

انتبه الى نفسه

تذكر انه لم يسمع من حديث أمره كلمة واحدة ، وها هو امامه واقفا كعمود مصلوب منذ مئات السنين ، لم ينس بكلمة واحدة ... لقد جف ريقه ... عندها فهم ان ما بين أمره وبينه قد انتهى ... ولكن كيف ؟ .

- انسحب ... عريف مسعود يجب ان تنسحب ، انهم يتقدمون .

كان صوت احد جنود الكمين قد اخبره من تلك الدوامة من الافكار التي عصفت برأسه .

- ماذا نقول ، هل ارسلونا لكي ننسحب ، هيا تقدموا .



- ٨٢ -

كان في صوته تحد لكل من امامه :
- عريف ، انهم يدخلون منطقة الكمين ... يجب ان ننسحب .
انه يعرف ذلك ولكن : -

- ها ... اتريدنا ان لائرى ثمرة عملنا ... يجب ان نرى نهايتهم ...
اخفضوا رؤوسكم ... ستفجر الالغام ...
- ماذا قلت يا عريف مسعود ؟ .

اخرجه سؤال أمره من تلك اللحظات التي عاشها في حرب تشرين ... تلك الاعمال البطولية التي خاضتها وحدته على ارض سورية ...
وتلك الاعمال الكبيرة التي قام بها الجيش العراقي دفاعاً عن دمشق ...
والآن ألا يتركونه هنا ببعض الوقت بين اهله واطفاله ؟ .

- ارجو ان ترفع رأسك يا عريف مسعود ... اسمعت ما قلته لك ...
انت عسكري جيد ... ومقاتل شجاع والعسكري لا مكان له سوى المكان الذي ينطلق منه للدفاع عن وطنه وامته ...

كان أمره يتحدث معه والبسمة مرتسمة على شفتيه ... كان يحترمه :
- لقد تغيرت الامور كثيراً ، وانت تعرف يا عريف مسعود ذلك ... وان الاعداء مازالوا ياتمون ضدنا ... يوم هنا يا عريف مسعود ويوم هناك ...
هكذا هي العسكرية .

لم يكمل شهره الرابع بعد في وحدته الجديدة هذه ... قال لزوجته عندما نقل الى هذه الوحدة : سأكون قريباً منك . ومن الاطفال ...
سأساعدك في تربيته ... سأقاسم معك عمل البيت ... المهم سأرتاح بعض ، الوقت ... ولكنني لا اعدك بالبقاء دائماً حتى نهاية العمر ... انت



- ٨٣ -

عمره ، يرتدي بيرية والده السوداء ... ويمسك عصا بيده ...
ويضرب ... يضرب بالرصاص ... يقع أخوه الاصغر فيما يقف اخوه الثالث ... كان صغيراً يحمل امواله الثلاثة ما بين شفتيه ... انه دائم الابتسامة ... كان يقف وهو يصرخ ... انا قوي ... قوي لا أموت ...
وكان هو يضحك ... اما اختهم .. توأم الكبير ، فقد كانت تضمد جراح اخيها الصريع على ارض الغرفة ... وهو يضحك من لهوهم ... يضحك وزوجته تعلم «فك الحروف» وابنها يضرب بالرصاص ... والآخر يصرخ : انه القوي ... واختهم تضمد الجراح .

- ها عريف مسعود ، امازلت واقفا هنا ؟

- ها ... نعم ... العفو سيدي .

- ماذا بك ؟ سأله الأمر مستظراً .

- اجابه باحترام : -

- لا شيء يا سيدي .

رفع يده اليمنى ... ادى التحية بكل تفنن ودقة ... ثم استدار الى الخلف بخفة ونشاط ، وخرج .

x x x x

رفع حقيبته السوداء .. ووضع معطفه العسكري الحاكى على ذراع يده وقبل ان يودعهم ، ابتسم امام وجهها ... كانت هي حزينة ... قال لها : لا تعجبي ... يجب ان اخذه معي ... اعرف انني سأبقى هناك حتى انتهاء فصل الشتاء .

كانوا اربعة يقفون امامه كالطابور العسكري ... ادى اكبرهم التحية



- ٨٥ -

تعلمين يا ابنة الناس ان العسكري ليس له مكان سوى وحدته اينما كانت ...
وان الجيش قد ازداد ... لم يعد كالسابق ... لقد امتدت وحداته من الشمال الى الجنوب ... والاعداء يريدون بنا الشر ...

كانت هي ، في حديثه معها ، تحس بحرارة الود والالفة التي كانت تحن اليهما .. فقد كان يمضي الشهر والشهران دون أن تراه ... تسمع اخباره ... تسلم مصروف البيت من احد رفاقه ... اما هو ، فقد كانت الواجبات والفرضيات تأخذ منه ايامه ولياليه ... وعندما يأتهم باجازته الدورية ، تكون هي قد اعدت له الحمام ... وتفتح احد ابواب المشجب الحشبي وتستخرج منه (اليشماغ) الاحمر النظيف والعقال (المرعن) والعباءة «الجاسي» والدشداشة البيضاء ... وقد عطرتها باعواد البخور ...

كان هو يرتدي ملابسه كاملة ... يجلس على التخت الذي نصبه في احدى زوايا الغرفة الوحيدة في البيت ، ليشرب القهوة التي تعدها له ، يمر انفساً لذيدة من (النارغيلة) المزركشة بالالوان فيبدأ رحلته معها ومع اطفاله ... فيها تختفي هي وراء باب الحمام .

كان هو يبقى مع الاطفال ، حيث كانت هي تذهب حامله كتبها الى مركز محو الامية ...
هكذا اتفق مع زوجته ... قال لها يجب ان تتعلمي ... ليس من المعقول ان تبقي هكذا على جهلك يا ابنة الناس ان الام مدرسة ... هكذا علمونا .

كان يلاعبهم ... اربعة اشهر وهو يلعب مع اطفاله ... ثلاثة اولاد وبنات ... وكان يحكي لهم عن الجيش ... وحرب تشرين ...
والانتصارات ... التقدم والانسحاب ... وكان اكبرهم في الثامنة من



- ٨٤ -

فيا قال له ابته : - ستكتب لنا ياوالدي .
قالت ابته : - ستجلب لي لعبة جميلة ... ارجو ان تكون كبيرة
بحجمي .
قال له ابته القوي : - اريد بندقية .

x x x x x x

تحركت به السيارة ...
كانت زوجته تمسح قطرات دموعها بأطراف اناملها المحنة ... مرقت
السيارة بجانبها ، كان هو يلوح بيده لها ... خجلت ... نظرت الى من
حولها ... ابتسمت ... حركت يدها اليه يهدوه ... رفعتها الى الاعلى
... امتدت يدها ... تحرك كفها ... ثم رآته يتسم لها من خلال زجاج
السيارة ...

١٩٧٩/١١/١٠

«أيام الزهو»

«من مذكرات فتاة عراقية»



٩/٢٢

اصبحت الخيمة الصغيرة ذات اللون الخاكي ، بالنسبة اليّ ، هي بيتي
الصغير ، منذ اليوم الذي وطنت قدمامي أرضها المزروعة بالثيل الاخضر .
كنت فيها مع زميلاتي وزملائي ، طلبة الكلية ، كالعائلة الواحدة ...
لم اشعر بينهم بالخربة ولا الوحدة ... كان كل شيء فيها يذكرني
بعائلتي ... والذي المقاتل ، ووالدي الحنون ، واخي الصغير .
اي شيء كان يجنبه لنا هذا القدر الملعون الذي جعل من ايران ان تكون
جاراً لنا ؟ ...

هل تطول هذه الحرب المفروضة علينا ؟

كانت الاسئلة تطرق ذهني ، وتغلأ تفكيري .. لكنها لم تستطع ان
تشوّهه ... فقد كانت اجاباتي عنها هي قناعاتي نفسها التي قد تكونت بجهد
من التنظيم الحزبي ... ومن التربية العائلية ، وقراءاتي المحببة لتاريخ
العراق .

«صافرات الانذار تصرخ معلنة دخول بعض الغربان السوداء في اجواء
جنتنا ... بغداد» .

تعالت الزغاريد من افواه زميلاتي ... وتراقص الزملاء ... فقد
اذيع البيان / البشري ... لقد بدأ الرد العراقي على كيد الاعداء .
انا فرحة ، مسرورة ...

x x x

٩/٢٣

أية روح تسري فيك ايها العراق الحبيب !



اترك القلم ودفتر المذكرات واخرج من الخيمة لانضم الى زملائي .

x x x x

ما الذي يريد من المجوس ؟ هل يريدون ، بأزيز خفافيشهم وغربانهم السوداء ، ان يبيتوا في عراقنا الحبيب جذوة الحب والحياة ؟ الصورة الجميلة ؟ هل يريدون قطع اوردة أطفالنا الاحبة ، وحرق خضرة حدائقنا الجميلة ؟ تبا لهم من اعداء ...

x x x x

٩/٢٥

الساعة العاشرة صباحاً ... كل شيء هادئ ، كنا قبل قليل نستمتع لمحاضرة احد مسؤولي الدفاع المدني ... لقد استغدت منها كثيراً ... دخلت الخيمة ، لاكتب هذه السطور ... و ... دخل احد ' الخيمة بعد ان طلب مني السماح بذلك . كانت خيمته هو وزملاؤه تقابل خيمتنا بالضبط .. وكانت بدلتة الحفاكي مازالت تحمل بعضاً من ذرات التراب التي علقت فيها جراء نقله لبعض اكياس الرمل هو والزميلة سناء ... كان التعب بادياً على وجهه . جلس على السرير الاخر صامتاً ... وجهه بارد لا حركة فيه ... عيناه الحادتا النظر - هكذا شعرت بهما - قد التقنا اكثر من مرة بعيني . تساءلت مع نفسي : لماذا ينظر الي هكذا ؟



- ٩١ -

تدخل سوسن الخيمة ، لاخرج انا بدلاً عنها لأقوم بمراقبة الهاتف .

x x x x

٩/٢٦

كان هو اول شخص استقبلني قرب الخيمة ... الساعة الآن تقترب من السادسة صباحاً ... حبيته ، ودخلت الخيمة لأرتبها في الساعة العاشرة صباحاً ، وبعد الغارة التي شنتها مجموعة من الغربان السوداء على مدينتنا ، كنت جالسة على احد الكراسي امام فتحة باب الخيمة ... فيها كان الزملاء والزميلات يشتركون في حديث عام عن العام الدراسي المقبل . كانت هدى ، مستلقية على السرير داخل الخيمة ، وهي تطالع في رواية 'الحرب والسلام' ... اما انا فقد كنت استمع الى الراديو وهو يثبث احدي ' الاغاني الحماسية . كان احمد قد ترك زملاءه وجلس قرب خيمتهم قبالي بالضبط واخذ يخلق بي ... - لماذا هو دون غيره من الزملاء يمحى النظر هكذا في وجهي ؟ تساءلت مع نفسي ، فيها كانت 'الحرب والسلام' في حضني بين يدي ... - هل يوحي له وجهي بمسحة فنية ، لوحة جميلة ؟ هل هو فنان يحول استلهام وجهي ؟ ' هل اسأله ؟ آه ... اللعنة ... لو كنت اعرف الكلية التي يدرس فيها ... كان يجب ان اسأله عن ذلك ... هل هو طالب في الفنون الجميلة ؟ - هل يوحي له وجهي بشيء من الفن ، انه يريد ان يجعل مني 'جيروكوند' ...



- ٩٢ -

هل كتب علينا ان ندافع عن حماك في كل وقت وزمان ؟ ... الا يكفي اولئك الفرس المجوس هزيمة الحقناها بهم قبل اكثر من الف عام ؟ ... ألا تكفيهم هزائمهم امام انتصاراتنا ؟ آه ايها الخيمة الصغيرة المحيبة ... ايها الجنة ... يا بغداد ... وما اجل ان تعيش مع زملاء وزميلات يمنحونك مثل هذا الحب ... وهذا الاحترام ... ما اجل ان تعيش مع اخوة لك يقطع احدهم رغيف خبزه ليطلعك ... وتأتي لك زميلة بكوب الشاي الساخن ... ما اجل هذا ...

ها هي هنا ، تقدم الصينية الصغيرة وعليها كوب الشاي ، تضعها على سريري ... كنت وقتها احاول لف الشماغ الاحمر على رأسي ... كان الزميل فائز مسؤول مجموعة الدفاع المدني يشد رأسه دائماً بالشماغ ... كانت لفته للشماغ قد استرعت انتباهي ... فحاولت ان اقلده لكنني فشلت ، عندها اخذت الزميلة هناك الشماغ ، وبدأت تلفه حول رأسي ، وعندما انتهت من ذلك قربت المرأة الصغيرة امامي ، هالتي مارأيت ... عندها طبعت قبلة على خدما وشكرتها . قالت : - للنساء طريقة خاصة بلف الشماغ ... اترين ذلك ؟

x x x x

٩/٢٤

آه ايها اللحظات الجميلة ... وصوت صافرة الانذار أعلن دخول الغربان السوداء في فضاء مدينتنا



- ٩٠ -

ودون اية كلمة ، اعتذر وخرج . لم اهدأ وقتها ... هل كان يود محادثتي بشيء ما ؟ ام ان هناك ما يحجل من قوله ؟ ماذا به ، دخل وخرج دون ان يكلمني ؟ هل كان يعرفني من قبل ؟ ام انه يبحث في وجهي عن فتاة كان قد التقى بها سابقاً ؟ لا اعرف عنه شيئاً ... فعندما انتسبت الى هذه المجموعة الطيبة مع زميلاتي وجدته مع الزملاء قد انتسبوا قبلنا بأيام . كان السلام هو الكلام الوحيد 'صافرات الانذار تعلن عن غارة معادية' .

x x x x

لقد تم كل شيء امام عيوننا ... رأينا طائراتهم تحترق بصاروخ انطلق من ارض عراقنا الحبيب ... رأيناها تنفجر في السماء كتلة نار تلتهب ... هكذا هم دائماً ، يعبدون النار وتحرقهم هي نفسها . سيارات الاسعاف تنطلق الى مكان ما ... استطعنا ان نقنع اهالي المنطقة بالدخول الى بيوتهم كانوا يريدون الخروج الى الشارع ليروا كيف تتساقط طائرات المجوس الواحدة بعد الاخرى .

x x x x

احمد ، هل كانت نظراتك تحمل من العفوية اكثر مما قد ظننته ؟ هل اسأله ؟ هل احده عن ذلك ؟ هل اطلب منه ان يرميني من تلك النظرات . سأترك ذلك للأيام المقبلة ... هكذا قررت .



- ٩٢ -

جديدة ... ربما كان يسميها «موناليزا الحرب» او «موناليزا الدفاع المدني» ... او «موناليزا الخيمة» ... وضحكت
ضحكت دون ان انتبه لنفسه ... كنت وقتها شاردة الذهن مع موناليزا احمد عندما سمعت صوت هدى يردد اسمي ..
كانت الزميلة هدى قد وقفت قبالي ، وقد وقف بالقرب منها اخي الصغير مهند ...
سلمني مهند رسالة من «ماجد» واخبرني ان احد رفاقه المقاتلين قد جاء بها الى البيت قبل ساعة ...
شكرته ... وطلبت منه ان يجلس معي قليلاً ، فاعتذر ، لانه سيلتحق مع جماعته الطلائع .
«خطيبي ، وعزيزي ... سناء .

اي نعم يحمله هذا الاسم ... واية روح تحملها صاحبه ... انه تعويذتي وانا اتقدم مع رفاقي المقاتلين لنيل شرف الشهادة في سبيل الوطن» .
الشهادة ... آه منك ياما جدد ... اما تزال تذكرها ... فمنذ ان التقت نظراتي بنظراتك اول مرة ، ومنذ ان سمعت فيها صوتك ، كانت هي الكلمة الاولى في ذلك اللقاء ... الشهادة ... لم اكن اعرف ما يحيط بها من معان كبيرة سامية سوى معناها القاموسي ... قبل ان اتعرف اليك ... وقبل ان اضح يدي بيدك ... آه ياما جدد ... كم انا في شوق لان اراك ... احديثك ... اقبلك ... امسح عن بدلتك تراب المعركة ... انظر في عمق عينيك ... ذلك العمق اللامتناهي ... آه ياما جدد ، لعن الله الحرب ... وارجو المعركة يا حبيبي ... فانا مازلت اذكر اعتراضك على هذه «اللعنة» ولما



- ٩٤ -

وضحكت انت ... كنت احسبك على هذه الروح المضائلة ...
وذلك القلب الكبير ...

x x x x

٩/٢٧

عمل متواصل ، تنظيف الخيام والمنطقة المحيطة بها .. محاضرة صغيرة عن اطفاء الحريق ...

x x x x

٩/٢٨

كان صامتاً ... يذرع المنطقة الفاصلة بين الخيام رواحاً ومجيشاً ...
وكلمنا ارفع بصري اليه خلسة اجد نظراته مزروعة في وجهي ...
يا الهي ماذا افعل ؟ هل احديثه ، أطلب منه ان يقدم لي تفسيراً عن ذلك ؟ ماذا افعل ، هل اصده ؟ انه رفيق هادئ ودؤوب ... ولكن لماذا ، لماذا يا احمده محاصرني هكذا بنظراتك لماذا ؟ !
قل لي عما يدور في خاطرك ، تحدث ... افصح لي قلبك ، عرفني بما تريده مني ... افصح لي القول ... اما ان تترك نظراتك محاصرني هكذا فهو عمل غير لائق بك ...

- رفيقة سناء ...
جفلت ... كان صوته قد اخرجني من دوامة تلك الافكار ...
نهضت ...
- نعم رفيقي ...



- ٩٦ -

تزل كلماتك ترن في اذني ... لقد اثرت لي الطريق بها ... انني اذكرها ... جيداً .
قلت لي مرة عندما لعنت الحرب امامك : لا تلعبها .. بل العني من كان سبياً فيها ..
ان الحرب يا حبيبي هي الفاصل في اعادة الحق لاصحابه ، وهي المحك الذي تتجلى عليه معادن الرجال ... لا تلعبها يا حبيبي ، لانك في هذا تلعبني انا ... انا ضابط ، والضابط هو مدير الحرب ... ووقودها ...
وضحكت ... كانت ضحكتك لها صوت المدافع ... ضحكتك قد جلجلت كل افكاري السابقة وآرائي ... لكنك توقفت فجأة .. هل كتمت ضحكتك ... كيف ... كيف ... ألك القدرة على ذلك ؟ !
لم ازل يا حبيبي اذكر ذلك الموقف ... ادبرت وجهك اليّ وعندما وجدتي واجهة سألتي :-

لماذا أنت واجهة حزينة ؟
قلت لك :

- ماجد ، انا اخاف الحرب .
عندها ضحكت ، وطلبت مني ان اضحك ... احدث علي طلبك ، قلت لي :-
سناء اضحكي .. لا اريد ان اراك في هذه اللحظة ووجهك متوشح بالحزن ... سألتحق غداً الى الجبهة ... اضحكي ارجوك اريد ان اخذ هذه الضحكة معي ... اريدها ان تمشي معي في ساحة المعركة ... اخفيها بين طيات ملابسك ... ارجوك اضحكي ...



- ٩٥ -

- ارجو المعركة ، جئت لادعوك ؟
فاجاني قوله :-
لماذا ؟

سألتحق بالجبهة :
- لكنك متسبب الى الدفاع المدني .
- هذا صحيح ، ولكنني قد تدرت اكثر من مرة في قاطع الجيش الشعبي ، وسيلتحق القاطع بالجبهة ...
سألته ، وانا اريد ان اطيل الحديث معك ، عله يتحدثني بما يريد :-
- في اي مكان ؟
- في القاطع الاوسط .
سألته بلهفة :
- في منبلي .
- نعم ... بالضبط .
عندها ، تذكرت «ماجد» ... انها فرصة سانحة كي اقطع الشك باليقين ...
قلت له :-

- تذهب وتعود بالسلامة ، ولكن لي رجاء عندك .
سألني بلهفة :-
- ماهو ، قولي ؟
- ارجو ان تحمل لي رسالة خاصة الى خطيبي ، النقيب ماجد عبدالله ...
انه في احدى الوحدات الموجودة قرب منبلي . وسأعطيك عنوانه



- ٩٧ -

- عندها رأيت وجهه يمتقع ... اصفر ... ويصوت خفيض قال :-
 - سأوصلها ...
 ثم ادار جسمه وهو يردد :-
 - مع السلامة .
 قلت له ، وانا احس براحة نفسية كاملة :-
 - مع السلامة ، يحفظكم الله .

الادب - ١٢/١١ - ١٩٨٠

«طائر المنقاء»

«فصل من رواية»



- ٩٩ -

- ١ -

قبل لحظة ... ثوان معدودة ، هي قليلة في حسابات الزمن ، لكنها -
 في عالم الطيران - هي بعمر الدهر ، حيث للزمن دوره الكبير والفعال في
 الحسم ، ما بين الوصول الى الهدف وتدميره ... وبين العودة سالماً الى ارض
 الوطن موشوماً بالرجولة والبطولة ومتشجاً بوشاح النصر والفوز .
 قبل لحظة ، كان النقيب الطيار «سيف الناصر» جالساً على كرسي
 الطائرة ، الكرسي الذي حضنه كما تحضن الام وليدها بين ضلوعها ... اما
 الآن ، فهي هو معلق في الجو بخيوط حريرية رفيعة ، هي خيوط المظلة التي
 انتشرت فوق رأسه .
 كان كل شيء قد انتهى بسلام ... واجهزة الطائرة تبين له ان كل
 شيء يسير حسبما يرغب ... وها هي طائرته تشق الفضاء المحيط به بسرعة
 الى هدفها في عمق الاراضي الايرانية ... تستعجل الدقائق والثواني
 للوصول اليه لتدميره .
 كانوا اربعة ... وكما يطلق عليهم حسب سياقات الطيران ، تشكيل
 رباعي ... يضمه هو والنقيب الطيار ياسين عبدالرحمن والملازم الاول الطيار
 خالد الموفق بقيادة المقدم الطيار طارق السعدوني ... وكان ترتيبه الثالث .
 كانت معارك الفاء البرية على أشدها ... عندما طلب من تشكيلهم
 ضرب احد معامل تصليح الزوارق البحرية والذي يقع على نهر «همشير» في
 عمق الاراضي الايرانية
 كان ذلك قبل ثلاثة ايام ... حيث تم اجراء بعض التمرينات على



- ١٠١ -

طارق السعدوني الى المهاتف فرحاً :-

- عاشت اياديكم يا أبطال .

حيث استطاع من خلال خبرته المتراكمة ، ودوره في قيادة تشكيله مخترقاً دفاعات العدو الجوية المزروعة حول المصنع للوصول الى الهدف بسلام ، ثم تدميره تدميراً كلياً ، وترك ألسنة النيران مشتتة فيه ، والدخان يتصاعد أسود في الفضاء كغيمة كبيرة لا أول لها ولا آخر ، معلنة عن انتهاء دور ذلك المصنع واحالته الى ركام وانقاض .

عند انتهاء هجومه على المصنع ، استدار النقيب الطيار سيف الناصر كرفاقه بطاقته بزواية حادة ، بعد أن وضعها بشكل مائل ، كي يرى وهو يتجه الى ارض الوطن آثار ضربته ومكان تساقط وانفلاق قنابر طاقته ... وعندما وجد جهنم تحته تآكل بنيرانها ذلك المصنع خضع مع نفسه قائلاً :-

- عاشت يدك سيف ... لقد دمرتهم .

عندها احس بارتجاج قوي في طاقته ... كانت الطائرة ترتج من تحته ... فأخرجه ذلك الارتجاج المزعج من افكاره ... وتلاشت فرحته فجأة ... وازداد ميلان طاقته كثيراً ... فاحس بها تهوي الى الاسفل ... حيث اخذت تدور به ، وهي تهوي بسرعة كبيرة وكانها مغلول بيد خوّالة غير ماهرة .

كان عداد الارتفاع قد بدأ يؤشر له انخفاضاً سريعاً في الارتفاع ... ولاح له مؤشر السرعة يدور بسرعة كبيرة مبيئاً له زيادة غير امنية في السرعة ... لقد بدا له الآن ان شيئاً ما قد حدث لطاقته ... عندها جاءه صوت الملازم الاول الطيار خالد الموقى عبر جهاز «الآري» والذي استدار للتو



- ١٠٣ -

- يجب ان اصل بها الى ارض الوطن ... سأجاهد في ذلك . لكن صوت قائد التشكيل اخبره مرة اخرى من دوامة الحيرة والقلق واتخاذ القرار ... كان صوته هذه المرة أمراً ، وفيه قلق تبيته النقيب سيف الناصر من خلال الكلمات التي جاءت عبر جهاز «الآري» :

- سيف ، اترك الطائرة فوراً .

كانت عصا القيادة قد اصبحت بين يديه طيعة ... وكانت الطائرة قد استحالّت الى ريشة طير تتلاعب في فضاء واسع ... اختلط لون السماء بلون الارض ... فغشيت عيناه اللون السماء ... الارض ... السماء ... الارض ...

كان ذهنه رغم كل ذلك متماسكاً ، وتفكيره نشطاً ... فلا مجال لغير ذلك ياسيف الناصر - خاطب نفسه - ها هي الطائرة تهوي به وهي تدور حول محورها الطولي كالغزل بين أصابع طفل صغير لا يحسن الغزل ... عند ذاك اتخذ قراره بترك الطائرة والخروج منها سالماً .

كان دوران الطائرة قد اشتد حول محورها الطولي وبوضع شاقولي غير مسيطر عليه ... سحب قدميه الى الخلف وترك الطائرة والخروج منها بسلام من ان يفقدك الوطن ياسيف ... هكذا اتخذ قراره النهائي ... وبمنظرة خاطفة لما حوله تأكد من وضعية جلوسه الصحيحة على الكرسي ... مديده اليمنى الى ضابطة احزمة الكرسي النسيجية المحيطة بجسمه في منطقة لموض ... حركها عدة مرات ، عندها احس بالاحزمة تضغط على خذييه ... تراجع بجذعه ورأسه الى الخلف ... كان كل شيء يجري بسرعة ... فالوقت يمر سريعاً ... وعداد الارتفاع مازالت قراءته في تناقص



- ١٠٥ -

كيفية ضرب الهدف ... وعندما وجدت غرفة العمليات في قيادة القوة الجوية ، ان التشكيل قد استوعب جميع التمرينات على ضرب الهدف ، حدثت لهم ساعة الصفر .

في غرفة حركات القاعدة ، قال لهم العقيد الطيار الركن محمد المحسن ، آمر القاعدة ، وهو يشير بأصبع يده اليمنى الى خارطة مصورة مفروشة امامه على احدى المناضد الخشبية الكبيرة في غرفة الحركات :-

- هذا هو موقع المعمل ... وهذا هو نهر «بشمير» . عندها تركزت العيون جميعها على المنطقة التي تحركت حولها أصبح أمر القاعدة ... وبعد ان تأكد له ان الجميع قد شاهد المكان على الخارطة بصورة جيدة ... استطرد قائلاً :-

- حسب المعلومات الاستخبارية ... فان العدو يعتمد بصورة كلية على هذا المعمل في تصليح زوارق بحريته التي اصبحت اهدافاً سهلة لقواتنا البحرية والبرية والجوية ، كذلك ... يعني ... وهنا عدل أمر القاعدة من وضع قائمه ، حيث وقف منتصباً ، وتابع قوله وهو يؤكد امام ضباطه :-

- هذا يعني ان الاصابة المباشرة ، والقاتلة ، تعني خسارتهم لاهم مركز صناعي عسكري في تلك المنطقة وحتماً فان عملكم هذا سيؤثر في معنويات جنوده ، ان كان ذلك في قواته البحرية التي اصبحت لا تستطيع رفع رأسها امام قواتنا الباسلة ... او في سائر صنوفه العسكرية ، وخاصة بالنسبة للضفادع البشرية التي كثيراً ما كانت تستفيد منه خلال القيام بفعالياتها امام قواتنا .

- ٢ -

كانت الضربة للهدف موقفة ، مما دفع بقائد التشكيل المقدم الطيار



- ١٠٢ -

دورته الكاملة بعد ان افرج حمولة طاقته على الهدف ، جاءه معلناً انطلاق صاروخ نحو طاقته .. ثم سمعه يصرخ :-

- سيف لقد اصيبت طائرتك .

عندها جفل ... كان رد فعله سريعاً ... تمسك بقوة بعصا القيادة الممدودة بين ساقيه ... اخذ يحركها الى كل الجهات ... حاول بكل ما في جسده من قوة لاعادة الطائرة الى وضعها الافقي المستقيم ... حاول ان يخرجها من هذه الدوامة القاتلة ...

كان مؤشر عداد الارتفاع مازال يدور بسرعة مؤشراً له تناقصاً في الارتفاع ...

- كن ثابتاً ... وانتبه جيداً .

صوت ما انبثق من بين خلايا جسمه ، وهو يحثه الى التماسك ... الى ان يكون بطلاً ... الى تفتيت حالة الخوف والقلق ... الى عدم الارتباك ... عندها سمع صوت قائد التشكيل يأتيه عبر جهاز «الآري» أمراً بحزم :-

- سيف ، اترك الطائرة حالاً .

كان صوت المقدم الطيار طارق السعدوني ، قد حرك في نفسه تلك الروح البطولية ... وذلك النسخ المتصاعد مع دمه ... وتلك الحمية العربية التي كان يمتاز بها كرفاقه الطيارين الذين استطاعوا لسنوات ان يحيلوا ارض العدو الى نار ملتبهة ، وساء بلون الدخان ... اصرار وثقة بنفسه في الوصول بطاقته الى ارض الوطن سالماً ...

لن يتحرك لاعدائه حرية التصرف بمصيره ... وحياته ... ومستقبله ..

قال مع نفسه :-



- ١٠٤ -

بين ... عندها مَدَّ يده الى الزر ... ذلك الزر الذي بضغطة واحدة عليه
سيجد نفسه يسبح في فضاء الله الواسع ... وباصابع قوية ، واردة صلبة
وبشفين رددتا اسم الله والوطن ، ضغط على الزر ... ويلمحة بصر ...
رأى غطاء المقصورة الزجاجي ينطلق عالياً بسرعة كبيرة ، عندها أحس
بجسمه ينقلد خارجاً ... وشيء ما يضغط على عموده الفقري وهو مازال
يتقلب في فضاء أزرق ... مرة أخرى ، وثالثة ..

كانت الطائرة مازالت تهوي الى الارض ... بعد ذلك أحس بجسده
يستوي في الوضع العمودي ، وعيناه مازالتا ترنوان الى الاعلى .

لم ير المظلة ... كان الاوكسجين النقي قد وجد طريقه الى انفه المغطى
بالماسك عبر الانبوب المطاطي من حافظة الاوكسجين المتصلة بجسمه .

الساء مازالت فوق رأسه ، زرقاء صافية ... احس بقوة تجذبه الى
الاعلى ... تتره بقوة ... تسحب اضلاعه الى الاعلى ... كانت المظلة قد
انفتحت للتو ... انتشرت كما ينتشر جناح طائر كبير ، ساحبة جسده الى
الاعلى ، وكأنها تريد أن تنبيه الى وجودها ... ان تقول : ها آنذا فوقك
ياسيف الناصر .

لم يحس بسقوط الكرسي من تحته ... كان كل همه في تلك اللحظة هو
فتح المظلة ... عندها ردد بأمان بعد ان حرر نفسه من وجل ضللها قليلاً :
الحمد لله .

كان كل شيء قد هدأ فيه ، وراح عن اعصابه ما انتابها من توتر قبل
لحظات ، وها هو مرمي في فضاء الله الواسع تحت رحمة هذه المظلة النسيجية
وهي تحمله بخيوطها الرفيعة .



- ١٠٦ -

انقطع الان كل اتصال بتشكليه ... ولا يعرف عنهم شيئاً ... فيها
هو الان غريب في ارض العدو تحت رحمة هذه المظلة التي تسحب جسمه في
هذا الفضاء الواسع ... عندها قرر ان يفعل شيئاً ما ، قال مع نفسه ، يجب
ان اصل الى ارض الوطن سالماً ...
مد بصره الى الاسفل ... الى الارض المعلق فوقها بمسافة بعيدة ...
آه ...

ندت منه تلك الآهة التي اخترقت جسده كله من ساقيه حتى شعر رأسه
الذي مازالت الخوذة تحيط به من كل الجهات لتحافظ عليه مما يحيط به .

رأى وهو معلق في الاعالي ، نهراً يمتد من تحته الى جهة اليسار منه ...
عندها قرر ان يستجمع كل خلايا عقله في هذه اللحظة .

كان النهر يشق الارض الواسعة من تحته الى نصفين ... بدا له كحية
تتلوى في ارض الله الواسعة ... عندها يتقن انه مازال في الفضاء المحيط
بأرض العدو ... اذن فمركته قد بدأت الآن ... الان بعد ان ترك الطائرة
وهو فوق منطقة العدو ... فوق منطقة الاعداء ياصغيري الذي لم أزوجهم
حتى ...

اذن فدور والدك ايها الصغير الذي اتيت الى دنيا الله دون رؤيته ...
هاهو مصلوب تحت رحمة هذه المظلة وهي تلعب به في فضاء ارض العدو ...

هل كان مجيئك الى دنيا الله ياصغيري لتسمع ان والدك قد وقع اسيراً
بيد الاعداء ؟

لكن لا ... لا اريد أن أذل أو أموت كجندي تائه ، لا يعرف له
قبر ... لا ... لا اريد ان اقع في هذه الارض ، لأظل تائهاً فيها ، أسمع



- ١٠٧ -

الحديث معي حول ذلك ... لست عنيداً ، ولكنني واثق ومؤمن بما اقوله
واعتقد به يا نقيب سيف الناصر .

اذن ، ليفكر جيداً ... المظلة من فوقك والاعداء من تحتك يا ابن
الناصر ... وابئك ينتظر عودتك ، وهو لم ير نور هذه الدنيا الا قبل يوم
واحد ... يوم واحد ... يوم واحد ، فماذا انت فاعل له يا ابن الناصر ؟
لا ... لن يذل ابوك ياصغيري ... لن يذل .

لم تعد له من حيلة إلا هذه الخيوط التي ترفع جسده وهي تطير به ...
تطوف به في هذا الفضاء الواسع الذي بدا له من خلال زجاج الخوذة
الاخضر ، فضاء مسالماً ... اين انت يارب ابراهيم ... يامن جعلت من
النار برداً وسلاماً ..

- ٣ -

كان في صوته الذي بدأ يتحرر من أسار شفثيه داخل ماسكة
الاوكسجين نوع من المفاجأة التي ستفتح امامه طاقة الامل ... الذي سيأتيه
حتماً مع الريح ... الريح يارب ابراهيم ... الريح يارب ابراهيم ...
الحذر مازال متعرشاً بين اعصاب جسمه ... عندها حاول ان يستل
يديه من بين الحذر اللعين ... ان يفك اسارهما ... ان يدعهما
تعملان ... فلاحيلة له سوى هذه الخيوط التي سترك ليديه حرية السيطرة
عليهما ... ان يوجههما الى الجهة التي يريد ويرغب ... او ان يقع
اسيراً ... حلان لا ثالث لهما .. ان اصل الى ارض الوطن بهذه المظلة ...
الى صغيري ... او ان اقع اسيراً ، فأعيش ذل الحياة ...
الريح تدفع بالمظلة ... والخيال تحمل جسده المصلوب في هذا



- ١٠٩ -

اصوات الانفلاقات ، وازيز الاسلحة كمن يتيه في غابة لا يعرف لها اول ولا
آخر ... لا ... لا يذل والدك ياصغيري ... اترى التور والدك اسير ،
ذليل ؟ لا ... لا ...

كانت المظلة تطوف به ، وهي تسحب الى حيث جهة النهر ... وكان
قراره الوحيد هو ان يصل الى ارض الوطن سالماً ... ان يجتاز هذه الانفلاقات
تشتمل ناراً من تحته ... وآه يا نقيب ياسين « ١ » الحق معك ... الموت
ولا ذل الاسر ... الشهادة ولا مذلة العيش بين أناس لا يعرفون معنى
للانسانية . ولكن لا ... يجب الا ينتهي دوري عند هذه اللحظة ... لن
أدع اليأس يتملكني ، لن ادع العدو يتحكم بحياتي ... واذا كان هناك بارقة
أمل يا نقيب ياسين ، يامن اعلنتك للآخرين ... او بصيص من
نور ، فيجب البحث عنه ... التمسك به ... فلا يمكن ان ندع اليأس يجد
طريقه الينا يا نقيب ياسين .

ان الامل موجود دائماً امامك ... فعندما تنظر الى جهة ما ، حتياً
ستجد هناك بصيصاً ما يدعوك اليه ... فلا تيأس ... لا يا نقيب
ياسين ... لا .

لم يرد عليه نقيب ياسين في ذلك الوقت ... نظر اليه فقط
وسكت ...

نعم ، لقد سكوت وكان سكوته اجابة لجميع اسئلتي ... حكمة
عرفتها من خلال تلك النظرة التي تفرسني بها ... هل يلومني ؟ . ولكنه حتياً
كان يريد ان يخبرني ان قراره هذا لا رجعة فيه ... فلا داعي لان تعب
نفسك بالحديث معي ... لقد ملّ السيد أمر القاعدة ، وكذلك أمر السرب

- راجع قصة واللقاء الاخير المنشورة في هذه المجموعة عن هذه الشخصية البطولة .



- ١٠٨ -

الفضاء ... وانت يا نقيب سعدون العاكف ، ونظيرتك في الشطرنج ...
لقد جاء دورها الآن ... الشطرنج لا غيره هو الذي ينمي المدارك . ويمنح
سرعة الاستجابة لأي فعل معاد ... دقة في العمل وتنشيطاً للفكر ...
وصفاء للذهن ... فليكن فكري - الآن - في قمة نشاطه ... وليصْفُ
ذهني ... فانا لا املك سواهما سلاحاً هذه اللحظة .

القفازان الجلديان ، بلونهما الاخضر يحيطان باصابع يديه ...
يحفظانها من هذا الصقيع الذي امتلأت به سماء الله الواسعة ... فلم يشعر -
بفضلها - بالبرودة ، رغم ان جسمه قد اختض مرة واخرى بقشعريرة تملكته
قبل قليل ... عندها حرك اصابع يديه ... فاستجابت للحركة ...

حرك كفيه ، كان كل شيء فيها سليماً ، حمد الله ، عندها وبترت
واحدة لذراعيه ، حررها من ذلك الخدر اللعين ، رفعها الى الاعلى ...
كانت المظلة مازالت تحمله بخيوطها النسيجية ، ساحبة اياه في جوف الفضاء
المترامي الاطراف ... مدهما الى الخيوط المتدلّية فوق رأسه ، أمسك
بمجموعة منها بكفه اليسرى ، وأمسك بالكف الاخرى المجموعة الثانية من
الخيوط ... وجد ان في إمساك الخيوط بكلتا يديه راحة له ولصدره وأبطيه
اللذين كانا ينوسان بألم خفيف جراء ضغط الاحزمة النسيجية للمظلة عليهما .
قال مع نفسه :

- لا وقت للراحة الآن ... الان فقط يجب ان اقوم بتوجيه المظلة الى الجهة
التي ستوصلني الى ارض الوطن ... لن ادعها تسحبني الى الجهة التي
ترغب ... من هنا ستبدأ معركتي مع الريح ... ان ابقى حراً في وطني ، او
ان اقع اسيراً بيد الاعداء ... يجب ان اظل متماسكاً ، ان أستغل كل



- ١١٠ -

اللذيذ .. الالم الذي بدا يشل كل حركة في يدي ... سأحكي لك عن صفر
خاته ذلك الجسم المعدني الذي كان محلقاً به ، فتركه معلقاً بين الارض
والسماء ، لكنه لم يته .

كان قد دفع بجميع اجهزة جسمه رغم البرودة التي احاطت به ، الى
العمل ...

كل شيء يجب ان يعمل فيك ياسيف الناصر ... دماغك ، عضلات
جسمك ... يداك ، صدرك ، كل شيء ... يجب ان تصل الى ارض
الوطن سالماً ، لتعود مرة اخرى الى الطيران ... عليك ان تقلل المسافة بينك
وبين طفلك الصغير الذي لم تره ولم يرك بعد ... يجب ان تعود الى الطيران
مرة اخرى ... الى الواجبات التي تنتظرك ... الى المهمات الكبرى في عمق
الاراضي الايرانية بالذات ... لن نخذل وطنك يا ابن الناصر ... لا ...
وهذه الحبيبة التي تنشر جناحيها من فوق رأسك ، هذه المظلة التي نسيجها
أرق من جناحي فراشة لن نخذلك ، ستقودك حتماً الى ارض الوطن ... لانها
هي الاخرى قد تنفست هواء العراق الحبيب .

كان صوته وهو يتحدث مع نفسه ، يتشرب بين خلايا جسمه ...
احس به يصعد الى خيوط المظلة التي مازالت تظله بفيثها اللذيذ ...
ومازالت ذراعه تسحب خيوطها محاولة استدراجها الى دفعه نحو ارض
الوطن .

١٩٨٧/٣/٣٠



- ١١٢ -

قوتي ... يجب ان اصمد .

مد بصره الى الاسفل ... كان كل شيء قد توضح له بعد ان تحركت
به المظلة بفعل تيار الهواء الذي دفعها الى جهة النهر ... ومازالت المسافة بينه
وبين الارض واسعة جداً .

لم يعد يعرف كم مضى عليه من الوقت ... وكم هو ارتفاعه
الآن ... عندها حدد مع نفسه اليد التي يجب ان تعمل ... أن توجه اندفاع
المظلة ... واي الخيوط التي تسحب ...

كان اتجه جسمه الى الجنوب ... وجهه كله متجه الى الخليج ...
هكذا حدد اتجهه بعد ان عرف اتجه امتداد شط العرب من خلال نهايته التي
انفتحت داخل مساحة واسعة من المياه .

كانت المظلة تأخذ نحو اليمين ... تقطع به النهر بزاوية قائمة ...
حيث ارض الفاو ... عندها بدأت يده اليمنى بالعمل ... اخذت تسحب
مجموعة الخيوط الى الاسفل ... كان يريد للمظلة ان تميل قليلاً الى اليمين
كي يدفعها تيار الهواء المقبل من اليسار ... يجب ان تقودني المظلة الى الجهة
الثانية من شط العرب ... الى ارض الفاو ... ارض الوطن الحبيب .. الى
طفلي الذي لم يري الان ... ان ابقى حياً ... حياً ياسيف الناصر .

- الالم يتصاعد مع كل خترة من يده اليمنى ... عندها قال مع نفسه : -
- لن تضيق الساعات التي قضيتها في قاعة الالعاب هباء ... لقد جاء
دورها الآن ... لقد تمت عضلات هاتين الذراعين اللتين ستقودان المظلة الى
ارض الوطن ... فليذهب الالم هذه الساعة الى الجحيم مادامت عضلات
ذراعي قد تمت بصورة جيدة .

سأعود اليك يا طفلي العزيز ... وسأحكي لك عن هذا الالم



- ١١١ -

الفهرست

٥	- مدخل
١٧	- اللقاء الاخير
١٥	- قبل الساعة السادسة صباحاً
٢٧	- الطيور تحلق عالياً
٣٧	- لحظات قلقة
٤٩	- القرار
٥٩	- الشاحنة
٦٧	- النافذة
٧٩	- البداية
٨٧	- ايام الزهو ومن مذكرات فتاة عراقية
٩٩	- طائر المنقاء



- ١١٢ -